

روايات مصرية للجيب

زهور

110

أغلى من الحب



www.rewity.com
amirah

فوزیٰ عیوض





السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب
أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

فوزي عوض

أغلى من الحب !

وأردف القاضى لها بكل أسف :
- للأسف يا هانم .. مهرک كان
غالياً على .. مهرک لم يكن ابنک ..
مهرک كان شرف القضاء .. وشرف
القضاء لا يقايض ولو بحب
العمر يا بنت الأكابر ..

110



المؤسسة

العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

التمن في مصر 300

وما يعادله بالدولار الأمريكى

في سائر الدول العربية والعالم

هذه السلسلة ..

عندما تتحول حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..

وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..

يتوق قلب كل منا إلى الحب .. الحب الذى يروى هذه المشاعر .

فيبعد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ،
ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب
الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتثبت الزهور اليبسة فى
صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب ..
وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فيشع عبرها الفواحش فى ثيابنا ،

وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبلبعاده عن الأتنية والرغبت
والشهوات ، لهو أعظم شئ خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأنعام المادية والأتنية الفردية ، نحن نحتاج
الآن لمن يسو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج زهور نستشيق
عبرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقى عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعا ننتقل من زهرة إلى زهرة ..
فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

الفصل الأول

خرج القاضى من قاعة الجلسة بادى الإجهاد ، رغم أنه لم
ينظر طوال اليوم سوى قضية واحدة ؛ ولكنها كانت قضية الموسم ..
المتهم فيها طالب جامعى ثرى متهم بقتل صديقه بعد فشله فى
إغواء خطيبته .. كانت جلسة عاصفة ، امتدت لأكثر من خمس
ساعات ، غادر بعدها القاضى القاعة وأعصابه شبه محطمة ..
مضى فى (الكوريدور) المؤدى إلى استراحة القضاة ، فإذا
بصوت حريمى رصين يناديه من خلفه :

- سيادة المستشار !

توقف القاضى ملتفتاً ، فإذا بامرأة رائعة الجمال ، تتم أناقتها
ورصانتها عن وسطها الراقى .. راحت تتقدم منه بتؤدة ، وكأنها
تعدّ خطواتها ، حتى توقفت أمامه ، تحلق بعينيهما النجلوتين
الجريئتين على وجهه لبرهة ، أردفت بعدها فى حميمية رصينة :

- كيف حالك ؟

ولم يملك القاضى الوسيم إلا أن يجيبها فى دهشة :

- الحمد لله يا افندم .

وسكت متطلعاً إليها فى تساؤل ، فإذا بالمرأة الحسنة لا تكف عن التحديق بنظراتها الجريئة على وجهه ، وكأنها تستنطقه ، فلم يملك إلا أن يسألها بدهشته :

- أية خدمة يا أفندم ؟

انساب فوق شفتيها طيف ابتسامة ، ثم أجابت سؤاله بسؤال :

- ألا تعرفنى يا سيادة المستشار ؟

وجد نفسه يحدق النظر فيها ، ثم يجيبها فى حرج :

- معذرة يا أفندم .

ولم يزددا جوابه إلا تبسماً ، راحت بعده تحشد نظراتها فى عينيه ، بينما ارتفعت يدها ، لتخرج من صدرها سلسلة فضية ، تتكلى من عقها ، منتهية بقلب صغير نقش عليه حرفاً « M - G » ، ما إن وقع نظر القاضى عليهما حتى انتفض كل كيانه من المفاجأة ، واتفلت منه غمغمة الذائلة :

- (ماجى) !

وكان رد المرأة بابتسامتها للرصينة :

- نعم يا (جلال) يا شأ ..

(ماجى) ..

وغرق القاضى فى غمار المفاجأة ، وهو يحدق فى المرأة غير مصدق عينيه ، فإذا بها تردف قائلة بتبسّمها الرصين :

- أنا فى انتظارك فى سيارتى أمام المحكمة .

واستدارت منصرفة بخطواتها الوئيدة ، دون انتظار لجوابه ..

لحظات وكانت المرأة الحسنة تتطلق بسيارتها الـ « جاجوار » ، بينما القاضى الوسيم جالس إلى جوارها ، لا يكاد يرفع عينيه عنها ، وقد احتشد فيهما ألف سؤال وسؤال ، ولا جواب من المرأة عنها جميعاً سوى ابتسامتها الرصينة المشفقة ، وهى تتطلق بالسيارة فى هدوء وتمكن زادها إثارة فوق إثارتها ..

ككت (ماجى) فى العقد الرابع من عمرها ، ذات جمال زاعق يندر أن تفوز به امرأة ، وكانت أنافتها الطاغية ترتفع بجمالها إلى حد الأسطورة .. وكانت شخصيتها لا تقل إبهاراً عن مظهرها .. إنها دائماً تتصرف وكأنها ملكة .. النظرة بحساب .. الكلمة بحساب .. الابتسامة بحساب .. وكل تصرف منها بحساب .. وكان ذلك إفراناً طبيعياً لبينتها .. فهى ربيبة عائلة من أغنى عائلات « مصر » ، وأرملة تاجر سلاح مصرى عالمى ، كان يقيم بها فى « أمريكا » حتى وفاته منذ سبعة أعوام ، لم تظهر خلالها بـ « مصر » إلا اليوم ..

وكان ظهورها مفاجأة العمر للقاضى الوسيم ..

معقول !

معقول (ماجى) بعد كل هذه السنوات !؟

بعد ما يزيد على العشرين عاماً !؟

يااااه !!

حقاً طالما كان هناك بقاء فلا بد من اللقاء ..

كان هذا أول ما حدث به القاضى الوسيم نفسه ، وهو يعثر نظراته المشدوهة على وجه الحبيبة الفاتنة العائدة من بعد غياب عقدين من الزمان .. عادت أجمل وأشهى وأطغى سحراً ، وكان زيادة سنوات العمر لم تزدها إلا سحراً فوق سحرها الأصيل .. مما جعل افتتاح القاضى الوسيم بها يسطع فى عينييه المحفلتين على وجهها ..

كان مثلها فى العقد الرابع من عمره ، ومثلها فى الوجهة .. فوسامته مفرطة ، وأنافته مفرطة ، وقوة شخصيته مفرطة .. وكان معروفاً عنه أنه رجل خلق للنزاهة والنجاح منذ أن كان زميلاً لها فى كلية الحقوق .. ورغم أنه لم يكن من شلتها فى الكلية ، إلا أن حديث الفتيات عن وسامته ، وعزوفه عنهن اهتماماً بدراسته لفت نظرهما إليه لتجد نفسها مدفوعة إلى التعرف عليه .. فلم تضعي وقتاً .. توقفت بسيارتها الشبك أمامه ، وهو يقف بمحطة الأنوبيس المواجهة لبوابة الجامعة ، ودعته إلى الركوب ، ليجد نفسه متطلعا إليها فى دهشة ..

نعم ، هى زميلة له فى المدرج ، ولكن لا تربطه بها لية معاملة ، اللهم إلا نظرة إعجاب تنفلت منه كلما وقعت عيناه عليها بين شلتها ، فقد كان جمالها طاغياً ملفتاً للنظر ، إلى الحد الذى كان يجعله يتساعل فى نفسه كلما وقعت عيناه عليها : أى رجل هذا الذى سيفوز بكل هذا الجمال ؟ وما كان يخطر له فى أكثر أحلامه استحالة أن يكون هو هذا المحفوظ .. فها هو الجمال المستحيل بنفسه يدعوهُ إلى صحبته ، ولا يدرى بماذا يجيبه .. ظل يتطلع إليها بدهشته التى ألجمت لساته ، حتى أفاق على صوتها المفعم بشقاوتها :

- ماذا يا متر ؟ ألم تسمعى ؟

اركب ..

ولم يملك المحفوظ إلا تلبية الدعوة ، لتبدأ قصة الحب ، التى صارت حديث الكلية والجامعة بأسرها .. حديث غلبت عليه الدهشة والتعجب .. فالكمل وجد نفسه ينظر بإعجاب إلى ابن عزية « الهجاة » الذى استطاع أن يوقع بهذه السمات العالية ابنة « الزمالك » فى شبابه ..

ونفس هذا الكل راح يتندر بحماقة هذه السمات العالية التى نزلت بنفسها إلى مستوى العزب .. ولكن لا أحد من هذا الكل كان يجرو على مواجهة الحبيين الطائرين بشيء من هذين الرايين .. واكتفوا جميعاً بالمراهنة على نهاية هذا المشوار ، وانقسموا فى

ذلك إلى فريقين .. أغلبية راهنت على فشله ، وأقلية راهنت على نجاحه .. وراح الفريقان ينتظران ، ولم يطل انتظارهما .. فما هو إلا شهر واحد عقب نجاح الحبيين في اللبس حتى دوت النهاية على صفحات الصحف والمجلات .. تم عقد قران الآسة «ماجى الدهشورى» على رجل أعمال مصرى مقيم فى «أمريكا» ، أخذا وطار إلى «نيوجيرسى» عقب حفل الزفاف مباشرة !!

وكادت صدمة العمر أن تذهب بعقل ابن «الهجاة» ، وتقضى عليه ، لولا أن أباه ابن البلد القوى أسرع يستنهض فيه رجولته وكرامته ، ليحول الأمر بداخله إلى قضية كرامة .. كرامة من لا يملكون سوى كرامتهم .. وكرامتهم فى صلابتهم .. فى تفوقهم .. فى تقدمهم الصقوف .. على هؤلاء الذى يتوهمون أنفسهم بأموالهم أسبداً ، باستطاعتهم اللهو بمشاعر الناس ، ويفوتهم أن مجرد أوهامهم هذه تكشف حقيقتهم كعبيد مقتنعين بثرانهم ..

وينجح الأب فى استنهاض ابنه من كبوته الطاحنة ، وفى شد عزمته .. وينهض الابن ممتطياً جواد الحياة ، فإذا به يتلقى أولى ثمار نهوضه .. تعيينه فى النيابة العامة .. وإذا بالثمار الطيبة تتوالى ، فيتزوج من فتاة طيبة من عائلة كريمة تغمره حباً ، وتجنب له طفلة جميلة ، تكتمل بها سعادتهما ..

ولكن السعادة إذا ما اكتملت غربت ..

خطف طائر الموت الزوجة المحبة الطيبة قبل أن تكمل طفلتها عامها السابع ، ليجد رئيس النيابة نفسه أرمل فى ريعان شبابه ، وفى رقبته طفلة يتيمة ..

ومرة أخرى أسرع الأب ابن البلد القوى يأخذ بيد ابنه قبل أن يسقط فى قاع المحنة .. ومرة أخرى نجح فى استنهاضه من كبوته ، وفى إعادته فارساً عفتاً فوق جواد الحياة .. ومرة أخرى عاد الابن الطيب يتلقى ثمرة نهوضه من كبوته ، فلم يكد يمضى عليه عامان حتى كان يُنصب قاضياً ، ليواصل جواده الانطلاق به على درب النجاح حتى وجد نفسه يتبوأ مقعد رئيس محكمة الجنایات قبل أن يتم عامه الخامس والأربعين ..

مشوار طويل شاق ، حافل بمحطات النجاح والكبوات والفرح والعذاب ، جعل «جلال» يالف سنة محطات الحياة ، فراح يتطلع - كلما خلا إلى نفسه - إلى المحطة الجديدة القادمة .. ولم يكن يدرى أنها محطة قديمة .. أقدم محطات حياته ، وأشدّها نحاً فى نفسه على الإطلاق ..

محطة تحمل عبق الحب ..

وبصمة الغدر ..

وحيرة التساؤلات المؤلمة الذاهلة التى لم تجد لها أجوبة منذ عشرين عاماً وحتى الآن !!!

محطة ثقيلة ، ثقل ما فيها من مرارة ومن أتين .. فما الداعي إلى بعثها الآن ؟

هكذا وجد القاضى الوسيم نفسه يتطلع بمنتهى الحيرة والدهشة إلى الحبيبة العائدة ، وهو يجلس أمامها حول إحدى موائد الـ « موفنبيك » ، بينما هى تتلقى نظراته المشدوهة الحائرة بابتسامتها الرصينة المشفقة ، حتى وضع الجرسون مشروبيهما أمامهما وانصرف ، فإذا بها تنتظر فى ساعتها ، ثم تبادره قائلة :

- يا سيادة المستشار .. أنا معك من « ٣٣ » دقيقة ، وبعد « ٢٢ » سنة فراق ، ولم أسمع منك كلمة ترحيب واحدة .

فوجئ بطريقة عتابها ، فكان رده معجبا :

- ياله من عتاب أمريكائى .

ثم أردف بأسما :

- حمد لله على السلامة .

ابتسمت وهى ترفع كأس عصيرها إلى شفيتها .. أخذت منه رشفة رقيقة ، ثم أعادته إلى مكانه مداعبة :

- هل المناصب تغير الناس هكذا ؟

سلامك البارد خيب ظننى .

لم يملك إلا أن يبتسم للباقة .. من يومها وهى تحسن التعبير عما تشعر به .. أخذ رشفة من قهوته ، ثم سألها :

- متى وصلت ؟

- اليوم .. من ثلاث ساعات فقط ..

قطب جبينه دهشة :

- من ثلاث ساعات وجئت لملاقى ؟

وكان ردّها مبتسمة :

- أرايت ؟ ترمومترى لم يهبط بعد ..

انفلتت منه ابتسامته الفاتحة بشيء من السخرية :

- مع أن الغرب ليس به سوى البرودة ..

كادت تنفث منها ضحكتها ، لولا أنها سارعت بكتمها ، مما جعله يسألها :

- هل قلت ما يضحك إلى هذا الحد ؟

- بل ذكرتنى بمثل شعبى كثيرا ما كنت تردده لى أيام الجامعة

« لا يأتى من الغرب شيء يسر القلب » .

- مثل أمى الله يرحمها .

- يخيّل إلى أنك عنيّتي به وأنت تذكر برودة الغرب ..

هم بأن يجيئها بشيء ، فإذا بها تقاطعه بلهجة بنات البلد :

- عموماً اطمئن يا سيادة المستشار .. أنا « ماجى الدهشورى » ..
مصرية أبا عن جد .. فى الشرق مصرية ، وفى الغرب مصرية ..
بل وقلبي مغلق على قطعة مصرية تحمل كل سحر « مصر »
وعظمتها ..

وفوجئ القاضى ..

فوجئ باللهجة ..

وبالرسالة ..

وبالمنظرة الساخنة التى حملت الرسالة إلى عينيه مباشرة ..

أهذه هى « ماجى » بنت الذوات ؟!

ومن أين أتت بهذه القدرة على التلون ؟!

وارتسمت دهشته جلية على وجهه ، فإذا بشيء من المرارة
ينساب على وجهها وفى نبرتها ، وهى تقول له :

- أنا ملتزمة لك العذر ..

وتحركات مرارته هو أيضاً :

- فيم بالضبط ؟

- فى كل ما يجول بخاطرك الآن ، وفى فكرتك عني ..

طفحت مرارته :

- فكرتى لم تأت من فراغ يا « ماجى » هاتم ..

- لذلك ألتمس لك العذر ..

وبدت وكأنها تتعرض لهجمة ألم شرس ، جعلتها تطرق بعينها
إلى كأس العصير لوهلة ، رفعت بعدها عينها إليه قائلة فى شبه
رجاء :

- شيء واحد فقط أريدك أن تصدقنى فيه يا (جلال) ، وهو
أننى لم أفرط للحظة فى حبى لك ..

انفلتت منه ابتسامة هى السخرية بعينها :

- لم تفرطى فى حبى وتزوجتِ غيرى !

- لم يكن زواجاً يا (جلال) ..

- ماذا كان إذن ؟ إشاعة ؟

- بل صفقة ..

انفلتت سخريته من عقالها :

- آه .. الأسطوانة المشروخة إياها .. البنت التى تزوجت ثرياً
لتنقذ أباه أو عائلتها من الإفلاس !!

جرحتها كلماته ولهجته ، ولكنها لم تملك إلا ابتلاعها كى
يمكنها مواصلة الذود عن نفسها .. تطلعت إليه قائلة بمرارتها :
- هو ذاك يا سيادة المستشار ، ولكنها ليست أسطوانة ، بل
حقيقة ثابتة .. ويمكنك التأكد منها .

- التأكد منها ؟ التأكد منها بعد أكثر من عشرين عاماً ؟

- هذه أمور لا تموت يا سيادة المستشار .
وإذا بالمفاجأة التى أطاحت بقرع المستشار ونقمتة على الفور ،
مفسحة المجال بداخله إلى الشعور بتصدقها .. إنها الدموع التى
ظهرت فى عيني المرأة الأبعد ما تكون عن الدموع والبكاء ..
دموع منيعة تنساب من العينين القويتين اللتين لم يكسرهما
الألم يوماً ..

ها هو وجه حبيبة الماضى يحتقن ألماً ، فيبدو مثيراً للشفقة ..
ها هى علامات الضعف تعصر ملامحها الرقيقة بلارحمة ،
فتبدو كعصفور يُذبح ..

الحزن والألم والضعف إذا ما اجتمعوا على وجه امرأة حركوا
أشد القلوب قساوة ، فما البال بقلب عاشق قديم ؟

وجد نفسه يناولها منديل به بقلب خافق .. انتظرها حتى جفت
دموعها ، ثم يادها فى خجل وإحساس بالذنب :
- أنا آسف .

وكان جوابها فى حزن :

- لا عليك .. هذا قدرى ، وأنا راضية به .

رفع يده لها بكأسها فى جنو :

- اشربى العصير كى تهدأ أعصابك ..

تناولته منه ، وهى تقول له معتذرة :

- أنا الآسفة .. جدت آلامك .

وإذا برد القاضى الوسيم برصاة لا تخفى شقاوته :

- إذن فعليك مداواتى منها .

وإذا برد الحبيبة العائدة بمنتهى الجدية .

- ما عدت إلا لهذا يا سيادة المستشار .

وفوجئ القاضى بجوابها وبجديتها :

الفصل الثاني

بدأت قاعة الجلسة وكأنها ليس بها مكان لقدم .. اكتظمت
بنوى المتهم والقاتيل وأصدقائهما وجيرانهما ، وبالجمهور
الغفير الذى جلبته وسائل الإعلام بتحويلها القضية إلى قضية
رأى عام ..

وكان السواد الأعظم من الحضور يفور بسخط عاتٍ على
القاتل ابن الذوات .. لو طالته أيديهم لمزقته إربًا إربًا ، انتقامًا منه ،
ومن نخبته كلها ، ومن هنا راحت نظراتهم النارية تلتهمه وهو
يتحدث إلى أصدقائه من داخل القفص ، غير مبالي بهذه
التنظرات ، ولا بأصحابها ولا بسخطهم .. بل إنه من لحظة لأخرى
كان يرميهم بنظرة عجيبة تثير حفيظتهم ودهشتهم .. نظرة
توحى بأنه غير نادم على جريمته البشعة ، بل متباه بها ..
وفى الحقيقة كان نصيب كبير من شعوره قريبًا جدًا إلى هذا ..
كان شعور من فعل ما لا يجزئ سواه على فعله ، أى شعور
بالزهو ، وكان ما فعله بطولية ، وليس عارًا يندى له الجبين
خجلًا .. شيطانه صور له هذا ، وأعماه عن بشاعة ما اقترفت

.. ماذا تعنين يا (ماجى) ؟

.. أعنى ما قلته يا (جلال) .. أنا التى جرحتك ، وأنا المزمنا
بمداواة جرحك .. هل تمنحني الفرصة ؟
وجاءها جوابه ، نظرة حيرة عكست تأرجح وجدانه كله بين
الخوف والرجاء .

www.rewity.com

يداه ، وأعماه عما يمكن أن ينتهى إليه مصيره ؛ ومن هنا كان هذا الاطمئنان العجيب الذى يملؤه وهو يتحدث إلى أصدقائه من داخل قفصه .. اطمئنان أقرب إلى الثقة بأن القضية برمتها ليست سوى فرقة إعلامية ستنتهى بإفلاته منها ، وإلا ما فائدة أباطرة المحامين هؤلاء الذين يتولون الدفاع عنه ؟ اثنان منهم قاضيان سابقان ، والثالث كان أستاذاً لرئيس المحكمة الذى يتولى القضية ..

• إذن فأين ستذهب البراءة منه ؟

هكذا وقف قاتل الموسم داخل قفصه متماسكاً مطمئناً .. إنه طالب بالـ «مودرن أكاديميك» ، قوى البنية ، وسليم الملامح ، يكاد يكون فى شكله نسخة كربونية من النجم الشاب «كريم عبد العزيز» .. تناولته أحد أصدقائه الواقفين معه سيجارة ، فأشعلها بهدوءه ، بينما سألته صديقة :

— ألم تعد مامتك بعد يا (رامى) ؟

وكان جواب (رامى) نظرة مرارة مرسلة فى دخان السيجارة المنطلق من أنفه ، مما جعل الفتاة تتسائل فى دهشة :

— معقول ! أم لا تُهرع إلى ابنها فى ظروف كهذه ؟!

وكان ردّ الفتى بمرارته :

— وماذا تتوقعين من أم لا يربطها بابنها سوى جسر من الأموال ؟

وما كاد يتم جوابه حتى دوى صوت .. حاجب الجلسة :

— محكمة !

وأطبق السكون على القاعة ، ودخلت هيئة المحكمة متخذة أمائتها .. وللحظات راح المستشار (جلال عبد الباسط) ينظر فى ملف القضية ، ثم رفع وجهه طالباً الشاهدة الأولى فيها .. ونودى عليها ، فدخلت .. فتاة جميلة أطفأها الحزن الشديد البادى عليها ، والثياب السوداء التى ترتديها .. تلقاها القاضى بنظرة مشفقة ، ثم بادرها متسائلاً :

- اسمك وسنك وعنوانك ؟

- (إيمان أحمد عيد) .. ٢١ سنة .. ٢٣ شارع المدرسة ...
إمبابة .

- هل تعملين يا (إيمان) ؟

- نعم يا افندم .. بائعة أدوية فى صيدلية .

- أنت خطيبة المجنى عليه « طاهر سعيد رجب » ؟

- نعم يا افندم .

- وما علاقتك بالمتهم ؟

وجدت نفسها تلتفت نحو المتهم الواقف فى القفص ، تحدج به
بنظرة سخط دامعة ، تحرك معها سخط كل الموجودين فى القاعة ،
مما اضطر القاضى إلى تكرار سؤاله لها :

- ما علاقتك بالمتهم يا (إيمان) ؟

انقلب سخط (إيمان) كله إلى احتقار ، راحت تصبه بعينيها
على المتهم ، وهى تجيب القاضى :

- أنا لا يمكن أن تربطنى علاقة بهذه الأشكال يا حضرة
القاضى .

والتفتت إلى القاضى وهى تمسح دموعها ، ثم أردفت قائلة :

- كان صديقاً للمرحوم خطيبى .

- وما الذى حدث بينهما ؟

انغلقت منها مرة أخرى نظرتها الساخطة إلى المتهم ، ثم
أجابت القاضى بحزنها :

- سأروى لسيادتك الحكاية من بدايتها يا حضرة القاضى .

- تفضلى .

أطرقت لبرهة ، مستحضرة تركيزها ، ثم شرعت فى
روايتها :

- بعد خطبتي للمرحوم بأسبوع تقريباً ، دعانى إلى حفل عيد
ميلاد صديق له فذهبت معه ، لأجد نفسى فى فيلا فخمة فى
« المقطم » ، تعجُ بشباب وفتيات فى منتهى الإحلال ، فأبدت
ضيقى للمرحوم ، ورغبتى فى الانصراف ، فإذا بصديقه صاحب
عيد الميلاد ، وصاحب الفيلا ، والذى عرفنى به المرحوم عند
استقباله لنا يسارع باستضافتنا بمفردنا فى « فراندة » الفيلا ،
وراح يقوم معنا بواجب الضيافة حتى انصرفنا .

هنا قاطعها القاضي متسائلاً :

- صديقه هذا هو المتهم ؟

- نعم يا حضرة القاضي .

- أكملى .

- فى طريق عودتنا من الحفل ، لم أستطع تكتم السؤال الذى كان يشغلنى من لحظة دخولى القفلا ، وهو ما الذى يربط خطيبي المعروف بأدبه والتزامه بشباب من هذا الصنف ؟ وكان جواب خطيبي أنه صاحب المطعم السياحى الذى يعمل به ، وهذا ما يضطره إلى مجاراته فى بعض المجالات .. فالتفت له العذر ، واعتبرت الأمر منتهياً عند هذا الحد .. ولكننى ما لبثت أن اكتشفت أنها البداية ، وليست النهاية ..

- كيف ؟

- قبل أن ينتهى اليوم التالى لهذا التعارف المشنوم ، فوجئت بـ (رامى) يحضر إلى فى الصيدلية ، ويغازلنى بوقاحة ، بل ويطلب منى الخروج معه منفردين ، وكان ردى عليه أن طرده دون أن أرفع صوتى حتى لا تحدث شوشرة فى الصيدلية ،

فإذا بجوابه بمنتهى البرود أنه سيمر على غدا ، واستدار منصرفاً ..

وسكنت (إيمان) قليلاً من فرط كمدها ، ثم عادت تواصل روايتها :

- ومن هنا بدأت مضايقات (رامى) لى .. وفى البداية رحلت أنكتم هذه المضايقات عن خطيبي ؛ حتى لا تسبب له فى مشكلة ، وفى الوقت ذاته رحلت أحاول ردع (رامى) ، ولكنه أبداً لم يرتدع ، بل راح يتمادى فى وقاحته وسخافاته متجاوزاً كل الحدود ، فلم أجد أمامى مفرّاً من مصارحة خطيبي ، ليحدث ما كنت أخشاه من بداية الأمر ، وحاولت جاهدة تجنبه .. استشاط المرحوم غضباً ، واتطلق إلى (رامى) فى المطعم ، حيث اشتبك معه فى عراك عنيف ، بضامن فيه عمال المطعم مع (رامى) معتدين بالضرب على المرحوم ، فلم يملك المرحوم إلا أن يرد الإهالة لـ (رامى) بقوله له عنى أمام جميع الموجودين بالمطعم : « يكفى أنها تحبنى أنا ، وتحترق أنت مثل الكلب » .

- وهل حضرت أنت هذه الواقعة ؟

- نعم يا حضرة القاضى ، فقد جريت فى إثر المرحوم عندما انطلق بغضبه إلى المطعم ، بل إننى بصقت على هذا الحقير وسط مطعمه ، وأمام الجميع ، فإذا به يجيبنى قاتلاً « يوماً ما سينالنى ، ولو اضطر إلى قتله » .. وراح ينظر إلى المرحوم متوعداً ..

التفت القاضى إلى المتهم يسأله :

- أأنت قلت هذا يا (رامى) ؟

وجاء ردُّ المتهم بوقاحة :

- كنت أرد على بصقتها على ..

عاد القاضى بعينيه إلى الفتاة :

- ثم ماذا يا (إيمان) ؟

- انصرفت أنا والمرحوم ، والذي قرر بالطبع عدم العمل فى مطعم هذا الحقير مرة أخرى ، وأيدته أنا فى ذلك ، حتى نغلق الباب الذى تأتينا منه الريح ، ولكن الريح أبنت أن تتركنا .

- كيف ؟

- بعد ذلك بأربعة أيام ، وفى الليلة المشنومة حضر المرحوم إلى الصيدلية فى العاشرة مساءً تقريباً ، ليصحبنى إلى منزلى كعادته ، ولكن ما إن ابتعدنا عن الصيدلية لبضعة أمتار ، حتى فوجئنا بسيارة (رامى) تقطع علينا الطريق ، و(رامى) ينزل منها ، ليدخل فى وصلة اعتذارات مكثفة ، لم يترك فيها كلمة اعتذار أو ندم إلا واستخدمها .. وبطريقة بلغت حد التوسل ..

وأسقط فى يدينا ..

ولم ندر بماذا نجيبه ؟!

بينما مضى هو يعتذر ويعتذر ، ويبرر ، ويتوسل ، حتى شعرنا وكأنه سيبكى ، فلم أدر بنفسى إلا وأنا أجيبه : بأننا سامحناه ..

وليتقطها منى المرحوم ، فبيئسم له صافحاً عنه ، فيتعاقبان فى حرارة .. ولتركب ثلاثتنا السيارة حيث تنزهنا قليلاً ، قبل أن يوصلانى إلى منزلى ، ثم انصرفا معاً ، ولم أكن أدرى أنها ستكون آخر مرة أرى فيها حبيبى .

واختلق صوت الفتاة الحزينة بالدموع ، فلم يملك القاضى إلا أن ينتظر قليلاً حتى تهدأ ، ثم عاد يسألها :

— ماذا حدث بعد ذلك ؟

— بمجرد أن دخلت شقتنا اتصلت بـ (طاهر) ، فأخبرني بأنه سيسهر قليلاً مع (رامي) فى المطعم ، وطمأننى عليه . فتناولت عشاءى مع بابا وماما وإخوتى ، ثم أويت إلى فراشى . وذهبت فى النوم .. ولكن ماهما إلا ساعتان تقريباً حتى وجدتنى انتفض من الفراش مقبوضة القلب .. فقد داهمنى هاجس فظيع بأن حبيبى يتعرض لمكروه .. أسرعت اتصل به على (الموبايل) ، فإذا بتليفونه مُغلق على غير العادة .. ازداد فزعى عليه .. أسرعت اتصل به على تليفون أخته التى يقيم معها ، فإذا بها تخبرنى بأنه لم يعد بعد ، وبأنها فى غاية القلق عليه بسبب إغلاقه (موبيله) ، فأخبرتها بحكاية (رامي) ، وطلبت منها رقم (موبيله) ، وأسرعت بالاتصال به ، فإذا به يخبرنى بأن (طاهر) لم يبق معه سوى نصف ساعة ، اتصرف بعدها .. هنا تحرك الشك فى قلبى تجاه (رامي) .. وعدت مرة أخرى أحاول مع (موبايل) المرحوم تارة ، وأتصل بأخته تارة أخرى ، حتى طلع النهار ، فأسرعت إلى أخته ، واتطلقتنا معاً إلى قسم البوليس لنبلغه .

وهنا هاجت دموع الفتاة مندفعة من عينيها ، فقد هاجمتها الذكرى السوداء ، وهى تردف منهيّة روايتها للقاضى :

— وبينما نحن فى القسم وصلت إشارة بالعثور على جثة المرحوم فى صحراء الهرم ، فهُرَعنا مع البوليس ، لتجد حبيبى مذبوخاً وممزقاً بمنتهى الوحشية .

واتفجر نحيب الفتاة ، حتى بدت وكأنها ستسقط فى مكانها ، فإذا بها تلتفت إلى المتهم الواقف فى القفص .. وبدموعها المتدفقة من عينيها كالشلالات ، ويعذابها الضارى الذى يفترسها بلا رحمة .. وبالنار الشعواء التى تشوى قلبها راحت تسأله :

— لماذا ؟!

لماذا ؟!

أليس إنساناً مثلك ؟!

ماذا فعل بك كى تفعل به هذا ؟!

وكيف هان عليك أن تفعله ؟!

كيف هان عليك أن تغرس مطواتك فى لحمه ؟!

أن تذبحه كالشاه ؟!

أن تمزقه وكأنه لحم يؤكل ؟!

كيف ؟

كيف ؟

الله يلعك .. الله يلعك ..

واندفعت الفتاة تصب عليه لعنات الله وسخطه ، وهى تزدد انهياراً حتى هوت على الأرض فاقدة الحراك لينفجر البركان فى القاعة منذراً بكارثة ، لولا مسارعة رجال الأمن باجتواء الموقف بمنتهى الحسم ، ومسارعة المستشار (جلال عبد الباسط) برفع الجلسة .

الفصل الثالث

فتح القاضى الوسيم عينيه على نداء ملاكه الصغير الذى يذوب فيه حباً :

- بابا .. بابا ..

أضاعت ابتسامته الحلوة وجهه .. إنها حبيبته وروحه التى تسعى على قدمين ، وحيدته (شيماء) .. أخذها فى حضنه مجيئاً :

- حبيبتي بابا ..

- فى الصالون سيدة حلوة تسأل عنك ..

نهض من فراشه مرتدياً روبه الصوف ، ومضى أخذاً ملاكه الصغير فى يده ، ليفاجأ بأخر ما يمكنه توقعه ..

(ماجى) !!

(ماجى) تجلس مع والده !

تسمرت عيناه عليها فى دهشة وفرحة غمرته كالتوفان وجعلنا الضيفة الفاتنة تبتسم متسائلة وهى تنهض لملاقاته :

- مارأيك فى هذه المفاجأة يا سيادة المستشار ؟

ولم ينبس المستشار ببنت شفة ..

فقط راح يحلق على وجهها الفاتن بنظراته المأخوذة بالمفاجأة ، مما جعل والده يتدخل متسائلاً ، وهو ينهض مبتسماً :

- ما هذا يا سيادة المستشار ؟ ألن ترحب بضيفتك ؟

ثم إذا به يلتفت إلى الضيفة الفاتنة ، ليقول لها بشقاوة العواجز الجميلة :

- بإذنك يا جميل ، فربما يكون وجودى سبباً فى « لخمته » هذه !

واستدار العجوز الطيب ماضياً إلى غرفته بـ « شيماء » ، فإذا بالضيفة الفاتنة تكدو من القاضى الوسيم الغارق فى دهشة حتى كادت تلتصق به ، ثم راحت للحظة تحلق على وجه بعينيها الجريئتين الفاتنتين ، لتسأله بعدها فى خفوت أقرب إلى الهمس :

- أترانى حقاً ضيفتك كما قال بابا ؟ أم أكثر من ذلك ؟

وسكنت غائصة بنظراتها النارية فى عينيه ، مفتشة عن جواب سؤالها .. ثم إذا بها تقول له بخفوتها الأكثر سخونة من نظراتها المغروسة فى عينيه :

- أنا جائعة ..

هنا فقط أدركته الكلمات ، فكان جوابه لها ، وهو شبه مخدر :

- حالاً سأبدل ثيابى ، ونذهب إلى اقرب فندق .

وإذا بردها مسبوقةً بقطعة نفى من شفيتها الناريتين :

- بل سنأكل هنا ، ومن عمل يدى .

وللمرة الثانية ضربت الدهشة القاضى الوسيم بمنتهى العنف ، ومع ذلك أردفت الضيفة الفاتنة متسائلة ، وهى تنزع عنها معطفها الفرو ، وكأنها لم تر شيئاً من دهشته :

- أين المطبخ ؟

ولم يستطع الرجل أن يتمالك دهشته أكثر من ذلك :

- (ماجى) !

وكان ردّ الضيفة الفاتنة أن سارعت بوضع أصبعها على شفثيه لإسكاته ، ثم لتقول له بلهيب أنوثتها :

- خذنى إلى المطبخ .

ولم يملك الرجل إلا أن يقودها إلى المطبخ كالمسحور وإذا ببنت الذوات ربيبة أكبر وأعرق عائلات البلد تتحول من طرفة عين إلى ربة منزل من الدرجة الأولى .. انطلقت نفاثات الثلجة ، وتخرج ما فى جوفها من لحوم وخضراوات ، ونبيذ الآواتى أمامها ، وتدير الخلاط ، وتشعل البوتجاز ، وتملأ المطبخ حركة .

يا ااااه !!

خمس سنوات كاملة والمنزل محروم من هذا .. من نغم امرأة جميلة ، حتى غدا كالثكنة العسكرية .. صحيح أن هذا خادمة تأتى ثلاثة أيام فى الأسبوع ، ولكن ذلك لم يضمن عدم الشقة أى إحساس بوجود امرأة .. هو فى الأصل لا يكاد يراها فغالبا ما تأتى وتتصرف أثناء عمله بالمحكمة ، ولكن هذا فى الحال يتبدل فى لحظة .. ها هى الحياة الحلوة تدب فى الثكنة العسكرية الجافة ، فتردها إلى أصلها ..

جنة ، وأرفة ، جميلة ، بهيجة ، يغرد فيها طائر الحياة ، وتسعى فيها امرأة ..

وأية امرأة !

إنها (ماجى) !!

« ماجى الدهشورى » !

الملكة المتوجة على عرش الجمال والأنوثة فى عالم بنات الذوات ..

ها هى فى بيته !!

فى مطبخه !!

فى خدمته !!

ها هو الحلم الجميل الذى تبخر ذات يوم بعيد ، مخلقا وراءه كابوسا فظيلا خائفا ، يعود حقيقة أجمل وأشهى من الحلم الذى كان أضعافا مضاعفة !

معقول هذا !؟

هكذا راح القاضى العاشق المبهور يتساءل فى نفسه ، وهو يلاحق حبيبته الفاتنة بنت الذوات بنظراته وهى تسعى فى المطبخ

برشاقة مذهشة .. حتى كاد قلبه الظامئ يقفز من بين ضلوه مرفرفاً ، مغرداً ، مطبقاً عليها بظمنه يريد الارتواء ، بينما لا الدال يتسائل بذهوله يريد الاطمئنان :

حلم هذا أم حقيقة ؟

من يجيبه ؟

من ؟

وإذا بالجواب يأتيه من خلفه :

- ما هذا النور ..

إنه أبوه العجوز الطيب ، وقد غمرته ابتسامة عريضة فأمر بها قلبه ، وهو يردف قاتلاً بسعادة طاغية ، وعيناه على الفتى التى تملأ المطبخ حركة :

- والله زمان ..

وإذا بـ (شيماء) تتقدم من (ماجى) قائلة لها ببراعة العصفورية :

- ممكن أساعدك يا طنط ؟

فما كان من (ماجى) إلا أنها رفعتها فى حضنها قائلة لها بمنتهى الحنو :

- ماما .. قولى ماما ، لا طنط ..

وإذا بالطفلة الجميلة الملائكية تعيد سؤالها :

- ممكن أساعدك يا ماما ؟

وكان ردّ (ماجى) ، وهى تنهال عليها بالقبلات :

- طبعا يا حبيبة ماما ..

طبعا ..

- ماذا أفعل يا ماما ؟

- تراقبينى وتعلمين منى يا حبيبة ماما ..

حلم أم حقيقة ؟!

ما زال القاضى الوسيم واقفاً بباب المطبخ يتأمل ما يجرى أمام عينيه بطوفان ذهوله ، حتى أفاق على صوت بنت الذوات الفاتنة تسأله بشقاوتها الأكثر فتنة وهى تنزل (شيماء) من حضنها :

- ماذا يا «جلجل» ؟ هل ستظل متسمرًا فى مكاتك هذا
خذ بابا وشاهدا التلفزيون ، حتى نفرغ أنا و«شوشو»
مهمتنا .

فوجئ الحاج (عبد الباسط) :

- التلفزيون ؟!

ودُهشت (ملجى) :

- ماذا يا بابا ؟! أليس لديكم تلفزيون ؟

وكان جواب الحاج (عبد الباسط) بدهشته :

- لدينا تلفزيون مغلق منذ خمس سنوات .

ازدادت دهشتها :

- لماذا ؟

ولم يجد العجوز الطيب ما يجيبها به ، فالتفت إلى ابنه متبًا
معه نظرة الدهشة ، فإذا بالمرأة الفاتنة تمرق من بينهما ، و
تتساعل :

- أين هو ؟

وإذا بصوت النجم المحبوب (محمود عبد العزيز) مصهلاً
بأغنية «يا صحبجية» فى فيلم «الكيت كات» بطريقته التى
تفجر الضحك من القلب .. وأقبل القاضى وأبوه بذهولهما ،
وإذا بعنى السيدة العجيبة تقعان على صندوق شطرنج فى مكتبة
التلفزيون ، فتسارع بالنقاطه ، ملتفتة إلى القاضى وأبيه
بسؤالها :

- من فيكما يلعبه ؟

وإذا برد الحاج (عبد الباسط) بلهفة طفولية :

- نحن الاثنين .

أسرعت تضع الصندوق فوق المنضدة الأباتوسية التى تتوسط
الأنتريه ، قائلة لهما :

- إذن اجلسا والعبا حتى نأتيكما أنا و«شوشو» .

لم يملك العجوز الطيب إلا أن يلتفت إلى ابنه المتسمر فى
مكاته يسأله :

- ما رأيك يا سيادة المستشار ؟

وإذا بالمرأة هى التى تجيبه :

- سيلعب يا بابا .. والفائز منكما سيلاعبنى .. اجلسا !

ولم يملك القاضى إلا أن يجلس بذهوله أمام أبيه حول المنضدة لتلتفت (ماجى) إلى (شيماء) قائلة :

- هيا معى يا « شوشو » .

وكان ردّ « شوشو » ، وهى تضع يدها العصفورية ليد (ماجى) :

- هيا يا ماما .

ومضت الاثنان معاً ، بينما القاضى الوسيم يشبههما بهما الذاهلتين ، حتى اتبّه على صوت أبيه يناديه باسمًا :

- هيا يا بطل !

وراح يرتب قطع الشطرنج فوق اللوحة ، مردداً فى فرما غامرة :

- والله زمان يا « جلجل » !! والله زمان !!

أقل من الساعة وكان القاضى الوسيم وأبوه وطفلته وبنت النوات الغائنة يلتفون حول مائدة العشاء فى ألفة وحميمية متناهية ..

أسرة متكاملة جميلة ، تغمرها السعادة ..

وبعكس المؤلف راحت الضيفة هى التى تحت أصحاب المنزل على استئناف طعامهم كلما هموا بالاعتفاء ، وكأنها سيدة المنزل .. لحظات بعد العشاء ، وكانت تضع كوب حليب دافئ فى يد (شيماء) ، بينما راح القاضى وأبوه يتناولان الشاي الذى أعدته نهما بيديها ، والذي ما كاد يفرغ منه الحاج (عبد الباسط) ، حتى راح يتناهب قائلاً :

- بهذه الوجبة النووية ما عاد بمقدورى إلا النوم .

وهم بالنهوض ، ولكنه قبل أن ينهض وجد نفسه ينظر إلى الضيفة الساحرة بعينين ملوّهما امتنان ، ليقول لها :

- شكراً يا (ماجى) هاتم .. لقد أعدت ليّنا أيامنا الحلوة .

وكان ردّ (ماجى) وهى تأخذ بيده بين يديها قائلة بحنان

دافئ :

- لا تتأدني بـ « هاتم » هذه مرة أخرى يا بابا « عيده » ..
أنا ابتكت .

وإذا بها تميل على يد الرجل ، طابعة عليها قبلة الابنة ،
ليخفق قلب العجوز بشدة ، وهو يسحب يده بسرعة مردداً :

- استغفر الله يا بنتى .

وإذا بـ (ماجى) تحتويه بعينها قائلة بحنوها :

- هيا يا بابا إلى فراشك .. تصبح على خير .

ونفض العجوز ذائب الفؤاد ، والتفت إلى حفيدته قائلاً :

- هيا يا « شوشو » .

ووضعت الحفيدة الصغيرة يدها فى يد جدها قائلة :

- هيا يا جدو .

وإذا بالقاضى يستوقفها معاتباً :

- هكذا يا « شوشو » دون أن تقبلينى ؟

فما كان من الطفلة الملاكية إلا أنها أسرعت تلقى بنفسها فى
حضنه ، لتبادله قبيلته ، قائلة ببراءتها وعذوبتها التى لا تقاوم :

- آسفه يا بابا .. غلبنى النعاس .

وكان ردُّ القاضى مداعباً ، وهو ينقل عينيه بينها وبين
(ماجى) :

- طبعاً شغل المطبخ ، والعشاء النووى .

وعاد يقبلها :

- تصبحين على خير يا حبيبتى .

- وحضرتك من أهله يا بابا .

وإذا بـ (ماجى) تتركها بسرعة :

- بابا فقط ؟

وكان ردُّ الطفلة الجميلة أن أسرعت إليها تقبلها :

- تصبحين على خير يا ماما .

- وأنت من أهله يا حبيبة ماما .

وعادت الطفلة تضع يدها فى يد جدها ماضية معه ، بينما

أبوها وضيافته يشيعانها بنظراتهما حتى دخلا غرفتهما ، فإذا

بالضيقة الفاتنة تلتفت إلى القاضي الوسيم قائلة له ، وهى تنظر فى (موبايها) :

- الساعة الآن العاشرة والربع .. أمامك ساعة كاملة لترينى كيف ستحتفى بامرأة جميلة فى ضيافتك يا سيادة المستشار ..

وكان ردّ القاضي الوسيم باسمًا ، وهو يقاوم سحرها اللطاغى :

- ما عادت ضيقة يا سيدتى الجميلة .

ونهض متناولاً (كاسيت) صغيراً و«سى دى» من مكتبة التليفزيون ، ثم التفت إليها قائلاً فى تبسم :

- تعالى .

ومضى بها إلى البلكون .. وأجلسها ، وجلس قبالتها مديراً (الكاسيت) ، فإذا بـ «ثومة» تصدح برانعتها التى تذيب القلب «ألف ليلة وليلة» ..

كان الدفء قد سرى فى الجو بعد ثلاثة أيام من صقيع «طوبية» الذى لا يُحتمل .. وكان القمر يتوسط السماء مكتملاً ناصعاً بهياً ، تحفّه بضع نجومات زهرية رقيقة ..

وبالأسفل بدا ميدان «الرماية» الذى يطل عليه البلكون رقيق الإطلالة ، مثيراً للشاعرية ببراحه وأضوائه ورونقه ..

وتعاقب تغريد «ثومة» مع هذا الجمال صانعاً جنة شاعرية ، سرى أريجها فى وجدان (ماجى) ، لتجد نفسها تقول للقاضى الوسيم بخفتها الداهش :

- يا اااااه يا «جلجل» !

معقول !؟

معقول أنا وأنت فى هذه الجنة بمفردنا !؟

فى بيت واحد يضمنا !؟

فى خلوة لا يفصلنا فيها عزول !؟

معقول !؟

معقول !؟

حلم هذا أم حقيقة ؟

أجنبنى يا مالك مفتاح الجنة ..

أجنبنى !

طمئننى !

نعم طمئننى !

فما أشد حاجتى الآن للاطمئنان إلى أننى لا أحلم !! بل أعيش حقيقة أحلى وأشهى من الحلم .

طمئننى يا مالك القلب !

طمئننى !

وتهاوى كبرياء بنت الذوات العاشقة تحت هذا السيل الكاسح من الخوف والتوجس .. وراحت تتطلع إلى فارس قصة صباحا بكل وجد العاشقة التائهة بين الحلم والحقيقة ، ولكن الفارس لم يكن أقل منها تيهًا ووجدًا ، انطلقت عيناه تفتش فى عينيها عن مرفئه المفقود .. انطلق يغوص فيهما بتوجسه الضارب بجذوره فى سحيق أعماقه بحثًا عن قاربه ومجداهه اللذين تحطما وغرقا يوماً ما ..

وطال غوصه ..

وطال بحثه ..

وطال صمته ..

فامتدت يدا بنت الذواق محتضنة يديه ، وعادت تناشده فى شبه توسل :

- لا يا حبيبى .. لا تصمت هكذا .. بل تكلم .. أجبنى بشيء
بطمئننى .. أرجوك يا حبيبى أرجوك ..

وكأن توسلها هذا استفزه .. وجد نفسه يجيبها بتفعل ينهشه :

- بل أنا المحتاج إلى الاطمئنان منك يا (ماجى) .. نعم أنا المحتاج إليه ، لا أنت .. محتاج لأن تطمئننى بأن هذه الجنة التى لاحت من بعد سنوات قفار حقيقة لا سراب .. أنا الأكثر حاجة منك إلى الاطمئنان .. فأنا الذى ذُبحت فى بدايتنا البعيدة .. وتجرعت عذاب كابوس كان يوماً حلمًا يسوق الورد جمالاً .. أنا الذى حطّ به الغدر يوماً من علٍ ... من ربّى جنة سكناها معاً إلى أودية جهنم ما كانت فى الحسابان .. أنا .

أنا يا (ماجى) ..

أنا الذى هويت فى فراشى يوم زفافك أبكى بكاءً ما يكيته يوم رحيل أمى ..

أنا الذى سهرت آلاف الليالى بين أطلال جنتى أتعنى
وقلبى ..

أنا الذى عشت عمراً أسأل نفسى عما جنيت كى يقذف بي
الجنة إلى النار ..

أنا الذى أحتاج جواباً .. تفسيراً .. تبريراً لظلم التهم
سنين عمرى .. فهل من جواب لديك ؟

وسكت الرجل متطلعاً إليها بهدير يهز كيانه كله ..

وسكنت « ثومة » عن الغناء ..

ولم يبق من هدير الليلة سوى زفرة ساخنة جاءت مسبوقة
من أعماق الرجل كأنها شريط من نار ..

الفصل الرابع

وقف المحامى الكبير خلف مكتبه الضخم مرحباً بزواره الذين ألحوا
فى طلب مقابلته قبل الجلسة بساعات .. ثلاثة رجال أشداء تكسوهم
أمارات الهيبة ، وتغمرهم بالغموض نظاراتهم السوداء الضخمة ..
بلره أحدهم قللاً فور جلوسهم :

- ما الأخبار يا دكتور « شوقى » ؟

وكان رد المحامى فى شبه إحباط :

- الحقيقة أن الموقف صعب يا (حازم) بك .. الشاهدان .. آثار

نماء القتل فى سيارة (رامى) .. شريحة (موبایل) القتل التى
ضبطتها المباحث معه .. تقرير الطبيب الشرعى .. اعتراف (رامى)
نفسه فى محضر البوليس .. كل ذلك جعل موقفه فى منتهى
الصعوبة .

وكان تعقيب (حازم) بعد أخذه نفساً من سيجارته :

- إذا كانت القضية صعبة ، فسيادتك أستاذ القانون الجنائى

يا دكتور (شوقى) .

- هذا لا يعنى أن ...

ونؤدى على شاهد الإثبات فى القضية ، فأقبل كهل معصم ، ضئيل
الجسد ، ثقل الخطى .. وقف أمام المستشار (جلال عبد الباسط)
بجيبه :

- (خليل على أبو حجازى) .. ٦٣ سنة .. خفير بشركة النصر
للمقاولات .

- قل والله العظيم أقول الحق .

- والله العظيم أقول الحق .

- ماذا رأيت ؟

- يا حضرة القاضى .. كنت جالسًا فى مدخل موقع البناء الذى
أعمل به ، فى أول طريق الفيوم الصحراوى .. ولأن الجو كان
شديد البرودة فى تلك الليلة ، فقد أشعلت بعض بقايا الأخشاب
لأستدفئ بها ، وأعد عليها كوب شاي .. وفجأة ظهرت أنوار
سيارة قادمة من بعيد ، خللتها قلامة إلى الموقع ، فلم يكن هناك
فى هذه البقعة الخاوية المعتمة سواه ، ولكنى وجدت السيارة
تجتاز ، فنهضت أتابعها بعينى ، لأعرف إلى أين تمضى ، فلربما
يكون قادمًا قد ضل الطريق ، ولكنى فوجئت بالسيارة تتوقف خنف
لموقع ، وقادها ينزل منها ، فتعجبت فى نفسى وتساعلت عما عساه

ولم يتمها .. فقد قاطعه أحد رفيقى (حازم) فى شب
حزم :

- دكتور (شوقى) ! نحن قادمون لك برسالة محددة .

فوجئ الدكتور (شوقى) :

- ما هى ؟

- مد فى القضية لأقصى مدى تستطيعه .

ازداد الدكتور دهشة :

- عفوا .. لا أفهم ..

وكان ردُّ الزائر الثالث ، وهو ينهض مع رفيقيه :

- ضيع وقتًا يا دكتور .

واستدار الزوار الثلاثة منصرفين ، تاركين المحامى العجوز
غارقًا فى دهشته .

ومضى المحامى إلى الجلسة ، تتردد فى أنفه كلمة الزائر
العجيبة « ضيع وقتًا ! »

يفعل فى هذا المكان ، وفى هذا الخلاء ، فقد كان الفجر وشيكاً ..
ووجدت نفسى أمضى نحوه فى حذر ، فإذا به يفتح حقيبة السيارة ،
ويسحب منها شيئاً بدا ثقیلاً عليه ، ويلقى به خلف السيارة .

وتوقف الشاهد العجوز عن الحديث ليلتقط أنفاسه ، بينما كل
العيون المتواجدة فى القاعة معلقة به ، حتى استنطقه المستشار
(جلال) :

- ثم ماذا يا (خليل) ؟

- لا أخفى عليك يا حضرة القاضى عندما رأيته يسحب ذلك الشيء
من السيارة ، ويلقى به قبض قلبى ، وشعرت بالخوف ، ومع ذلك
رحت أوصل تقدمى نحوه ، حتى اقتربت منه ، وهو يهم بركوب
السيارة ، فأسرعت أناديه : « يا باشا .. يا باشا » ، ولكنه لم
يلتفت إلىّ ، وأسرع بالقفز داخل السيارة والانطلاق بها ، فأسرعت
أتبين ذلك الشيء الذى ألقى به ، فإذا به قتيلى .

وسرت قشعريرة شديدة فى بدن الشاهد العجوز ، أوقفته عن
حديثه ، فترثت القاضى عليه قليلاً حتى يهدأ ، ثم عاد يسأله :

- وهل تمكنت من رؤية قائد السيارة هذا يا (خليل) ؟

- نعم يا حضرة القاضى .

- إذن انظر إلى المتهم !

التفت الشاهد إلى المتهم ، فأردف القاضى متسائلاً :

- هل هذا المتهم هو قائد السيارة ؟

دقق الشاهد النظر فى المتهم ، ثم أجاب القاضى :

- نعم يا حضرة القاضى .. هو .

حدجة القاضى بنظرة متأنية ، كأنما يريد الاطمئنان إلى جوابه ،
ثم التفت إلى الدفاع متسائلاً :

- هل يريد الدفاع سؤال الشاهد :

وجاء الرد من الدكتور (شوقى) ، وهو ينهض مغلفاً (رويه) :

- نعم يا سيادة الرئيس .

- تفضل .

تقدم الدكتور (شوقى) من الشاهد حتى وقف أمامه ، وراح
يتفحصه بنظرة طويلة نافذة كادت تريكه ، لولا أن المحامى
المحنك أسرع يسأله فى شبه مداعبة :

- أخبرنى يا (خليل) ! هل تناولت إفطارك وشايك الثقيل ؟

ذهش الحاضرون والشاهد ، ولكنه لم يملك إلا أن يجيبه :

- الحمد لله يا أستاذ .

- جميل ! إذن فانتبه لى جيداً يا (خليل) .

- تحت أمرك يا أستاذ ..

- فى بداية شهادتك ذكرت أنك كنت جالساً بمدخل موقع البناء الذى تحرسه ، ومشعلاً ناراً أمامك للتدفئة .

- نعم يا أستاذ .

- وذكرت أنك رأيت سيارة قادمة نحو الموقع .

- نعم يا أستاذ .

- إذن فهذا يعنى أنه كان بمقدور قائد هذه السيارة أن يرى النار المشتعلة والجالس خلفها .

- طبعا يا أستاذ .. مؤكد شاهدها وشاهدنى .

- جميل يا (خليل) .. جميل .. ثم ذكرت أن قائد السيارة هذا

توقف خلف الموقع وألقى بشيء ما ، اكتشفت أنت بعد ذلك أنه قنبل .

- نعم يا أستاذ ، هذا ما حدث بالفعل .

هنا التفت المحامى العجوز إلى هيئة المحكمة ، هاتفاً فيها بصوت جهورى كاد يرج القاعة :

- إذن فهذا الكلام من الشاهد يا حضرات المستشارين يعنى أن

قائد السيارة - والمفروض أنه القاتل - كان يحمل فى سيارته جثة ،

وأنه دخل الصحراء ليتخلص منها ، فإذا به يشاهد شخصاً

يستشفى بنار مشتعلة أمامه ، ومع ذلك لا يتراجع ، بل يواصل تقدمه

فى اتجاه هذا الشخص ، حتى إن الشاهد نفسه اعترف فى شهادته

بأنه ظنه يقصد الموقع .. ثم يتوقف على بعد أمتار قليلة من هذا

الشخص الجالس خلف النار ، ثم ينزل من سيارته ، ويسحب الجثة

من حقيبتها ، ويلقى بها .. كل ذلك دون أدنى مبالاة بوجود هذا

الشخص ، ودون أدنى تفكير فى الابتعاد عنه .

هنا هب وكيل النيابة الشاب واقفاً ، هاتفاً :

- شىء طبيعى يا حضرات المستشارين أن يكون القاتل فى

هذه الظروف مرتبكاً ، فتفوته رؤية بعض ما أمامه .

وكان ردُّ الدكتور (شوقى) بمنتهى الهدوء :

- ونحن سنسلم مع النيابة بهذا التحليل يا حضرات المستشارين .

ثم عاود الالتفات إلى الشاهد ، مواصلاً تفنيد شهادته :

- ذكرت أيضاً فى شهادتك يا (خليل) أنه بعد أن فرّ قائد السيارة بسيارته ، التفت لتتبين ذلك الشيء الذى ألقى به ، فاكتشفت أنه جثة قتيل .

- نعم يا أستاذ ، فعلت ذلك .

- وقبلها ذكرت أنك شاهدته وهو يفتح حقيبة السيارة ، ويسحب منها هذا الشيء ، ويلقى به خلف السيارة .

- نعم يا أستاذ .

- إذن فهذا يعنى أنك كنت قادماً من خلف السيارة .

- نعم يا أستاذ .

- إذن فمن المنطقى هنا يا رجل أن ترى ذلك الشيء الذى ألقى به وتتبينه قبل أن يفر هو بسيارته لا بعدها .

ارتبك الشاهد ، وهم بأن يجيب المحامى بشيء ما ، ولكن وكيل النيابة كان أسرع منه :

- شيء طبيعى أيضاً يا حضرات المستشارين أن توتر الشاهد وخوفه فى هذه اللحظات جعلاه يهتم أولاً بقائد السيارة الذى يهجم بالفرار .. فالشيء باق فى مكانه ، والفرصة قائمة لتبينه ، بينما فُقدت السيارة سيلوؤ بالفرار .

وإذا بتساؤل المحامى بمنتهى السخريّة :

- توتر الشاهد هذا منعه من رؤية الجثة أولاً ، ولم يمنعه من رؤية وجه قائد السيارة بهذا التركيز الذى مكّنه من حفظ شكله حتى تم القبض عليه !!

ولم يملك وكيل النيابة ردّاً ، فالتفت المحامى باتفعله مرة أخرى إلى الشاهد :

- أخبرنى يا رجل .. ماذا كان لون السيارة هذه التى شاهدتها ؟

أطرق الشاهد مردداً ، وهو يعتصر ذاكرته :

- زيتى .. أسود ..

ثم رفع وجهه إلى المحامى :

- لونها كان غامقاً يا أستاذ .

أطرق المحامى مردداً بصوت مرتفع :

- زيتى .. أسود .. غامق !

ثم رفع وجهه إلى هيئة المحكمة قائلاً فى تعجب :

- مرة أخرى يا حضرات المستشارين ، الشاهد غير متحقق

من لون السيارة ، ومع ذلك متحقق من وجه قائدها الأقل حبناً ووضوحاً !

وكان ردُّ وكيل النيابة باتفعله :

- المكان - كما ورد على لسان الشاهد يا حضرات المستشارين -

كان معتماً ، أى كان يصعب التمييز فيه بين الألوان .

وكان ردُّ المحامى بمنتهى القوة :

- إذا كان الأمر كذلك فلماذا اختار الشاهد لونى الزيتى والأسود

دون غيرهما ؟

وكان ردُّ وكيل النيابة متعجباً :

- يا حضرات المستشارين ! النيابة لا تدرى فيما يحاول الدفاع

فى قضية توافرت فيها حزمة من الأدلة ، وبها شاهد إثبات ،

واعترف فيها القاتل نفسه فى محضر البوليس بارتكاب جريمته .

وكان ردُّ المحامى العجوز بمنتهى البساطة :

- فلنقد مغاً ما عدته الزميلة النيابة يا حضرات المستشارين ،

لما عاً وصفها السيد وكيل النيابة بأنها حزمة أدلة ، فإنها لا تزيد

فى مجملها عن مجموعة ملابس ، لم ترق واحدة منها إلى مستوى

الدليل ..

وأما عن شاهد الإثبات ، فها هى شهادته أمامكم يا حضرات

المستشارين ، أشبه برقعة قماش ، الملقب فيها أكثر من

الموصول .

ولم يحتمل وكيل النيابة أكثر من هذا ، أسرع يقاطعه باتفعال :

- هذا عن الأدلة والشاهد .. فماذا عن اعترافات المتهم نفسه

فى محضر البوليس ؟

هنا انفلتت ابتسامه سخريه من المحامى العجوز ، نظر بعدها

إلى وكيل النيابة متسائلاً بمنتهى السخريه :

- أو لا يدري السيد وكيل النيابة كيف تؤخذ الاعترافات في أقسام البوليس ؟

وإذا برد وكيل النيابة بسخرية أشد وطأة :

- إذا كان الدفاع يلمح إلى تعرض المتهم للضغط أو التعذيب في قسم البوليس ، فإنني أجيبه بلفظه بأن متهمنا اليوم ليس من الصنف الذي يُمس في أقسام البوليس ، بل يُعامل كنزير فندق .

ولم يجد المستشار (جلال عبد الباسط) ، مفراً من التدخل موجهاً حديثه للدفاع :

- هل فرغ الدفاع من سؤال الشاهد ؟

وكان ردُّ الدكتور (شوقي) :

- بعد إذن المحكمة ... سؤال واحد فقط ..

- تفصل .

التفت المحامي إلى الشاهد :

- أخبرني يا (خليل) .. لماذا لم تحاول استخدام سلاحك مع قائد السيارة إياه ؟

وكان ردُّ (خليل) ببساطة :

- لأنني لا أحمل سلاحاً من الأصل يا أستاذ .

دهش المحامي :

- لا تحمل سلاحاً ؟!

- نعم يا أستاذ .

- خفير في موقع في الصحراء ، ولا تحمل سلاحاً ؟!

ولم يملك المحامي إلا أن يزم شفتيه تعجباً ، فعاد المستشار (جلال عبد الباسط) يسأله :

- أما زالت هناك أسئلة أخرى من الدفاع للشاهد ؟

وكان ردُّ المحامي :

- بل لنا مطلب واحد يا حضرة الرئيس من هيئة المحكمة

الموقرة ، وهو إحالة هذا الشاهد إلى الطب الشرعي لتحديد مدى سلامة بصره .

وانتفض وكيل النيابة هاتفاً :

- عفواً لهيئة المحكمة ، فما هذا المطلب من الدفاع إلا محاولة لتضييع الوقت .

وكان ردُّ المحامي على الفور :

- لا يا حضرات المستشارين .. بل هو لعدم اطمئناننا حقاً لسلامة نظر هذا الشاهد .

انقلت تساؤل وكيل النيابة مشحوناً بالسخرية :

- وهل هناك خفير ضعيف النظر ؟!

وكان ردُّ المحامي بسخرية أشد :

- وهل هناك خفير بلا سلاح ؟!

والتفت المحامي إلى هيئة المحكمة قائلاً :

- يا حضرات المستشارين نعتقد أن هيئة المحكمة الموقرة أكثر حاجة منا إلى الاطمئنان لسلامة نظر الشاهد التي تقوم عليها شهادته .

وسكت المحامي متطلعاً إلى جواب هيئة المحكمة .. وساد الصمت لمطبق اللحظة ، تداول فيها المستشار (جلال عبد الباسط) المشورة مع زميليه ، ثم راح يتلو قراره :

- يُحول الشاهد إلى الطب الشرعى لتحديد مدى سلامة بصره ..

رفعت الجلسة ..

ونهضت هيئة المحكمة مغادرة القاعة ، فبأذا بالهريج والمرج يبدآن فيها ، وإذا بالصحفيين يهرعون إلى (رامي) فى القفص ، يستبهم أصدقاؤه منادين عليه ، فبأذا به بجيبهم هاتفاً بمنتهى الحزن ، والحراس يسحبونه :

- ماما لم تأت .. الهاتم لم تأت لابنها الذى سيعدم .

★ ★ ★

الفصل الخامس

رن (موبايل) المستشار (جلال عبد الباسط) ، وما إن وضعه على أذنه ، حتى هتف بمنتهى الجزع :

- ماذا بها ؟

ثم أردف بجزعه :

- أنا قادم حالاً .

وإذا به ينطلق جرياً من استراحة القضاة في المحكمة ، حتى إنه لم يسمع نداءات صديقيه القاضيين اللذين كانا يجالسانه . فما كان منهما إلا أنهما انطلقا في أثره ، لينطلقوا ثلاثتهم معاً في سيارة المستشار (جلال) قاصدين منزله .. وما هي إلا ربع الساعة ، حتى كاتوا ثلاثتهم يقتحمون غرفة (شيماء) ، تسبقهم نداءات المستشار بقلبه المخول فرغاً :

- (شيماء) ! (شيماء) ! *

كانت الطفلة ممددة في فراشها ، مغمضة العينين ، ينبعث منها أنين خافت واهن كأنين الاحتضار ، بينما كان وجهها محتقناً مصبوغاً بزرقة مقزعة ، وما إن لمسها حتى فوجئ بها شديدة السخونة ، وكأنها تشوى ، لتنفلت منه هتفته الفزعة في جدها الجالس إلى جوارها يحدق فيها ، وهو يرتجف فرغاً :

- منذ متى وهى بهذه الحال ؟

ولجابه الجد مرتعداً :

- من ساعتين أو أكثر .

- ولماذا لم تتصل بى فى لحظتها ؟

- حاولت كثيراً يا بنى ، ولكننى وجدت تليفونك مغلقاً ، فأدركت لك فى جلسة .

- الله يقطع الجلسة ومن فيها .

وأسرع يطلب رقماً فى (موبايله) ، ويهتف فى محدثه :

- دكتور (عصام) ! أنا المستشار (جلال عبد الباسط) .. أذكرنى ! البنت تموت .

وأغلق التليفون ، وأسرع مغادراً الغرفة ، ليرتد فى لمح البصر بكيس الكمادات محشواً بالثلج ، أسرع بوضعه على رأسها ، وهو يجلس إلى جوارها ، محدقاً فيها بفزع يكاد يفجر قلبه .. أمها ماتت فجأة فى خمس لعينة كهذه ، وينفَس السيناريو الخاطف .. وجد نفسه يصرخ فى أعماقه «يا الله ! أنت أرحم من هذا» .. وطفحت صرخته من عينيه ، وهو يحدق بخاطره المفزع فى أبيه وصديقيه الواقفين ، فأسرع المستشار (خالد الصاوى) يحاول طمأنته :

- إن شاء الله سليمة يا (جلال) بك .. إن شاء الله سليمة .

وكنك أسرع يفعل المستشار (حسين زيتونة) :

- مؤكد وعكة بسيطة ، وستنهض منها بالسلامة إن شاء الله يا (جلال) بك .

ورن (موييل) الأب المتناع ، فأسرع يجيب ضنا منه أنه الطبيب ، فإذا بها (ماجى) .. انفلتت منه هفتته الفرعة :

- (شيماء) تموت يا (ماجى) .. (شيماء) تموت .

والتقى بالتليفون جاتبا ، مليا نداء الطفلة المغمضة العينين :

- بابا .. بابا .

ونكنه ما كان نداء ، بل هذينا دفع بفزع الأب المتناع إلى نروته ، فهم بمعاودة الاتصال بالطبيب مرة أخرى ليتعجله ، فإذا بجرس الباب يرق .. انطلق يفتحه ليدخل الطبيب .. لحظات وكان الأخير يفرغ من فحص الطفلة ، ليبتكت إلى أبيها قائلا :

- حمى يا (جلال) بك !

وانفلت سؤال الأب بذهوله الجنوني :

- ستموت !؟

وكان رد الطبيب فى دهشة ، وهو يمك بحقنة دواء أعدها :

- الأعمار بيد الله يا (جلال) بك ، ولا علاقة لها بالمرض !

ثم أردف فى حنو :

- أمسك بها من فضلك !

وحقتها الطبيب ، ليدوى صراخها ، فأسرع أبوها يضمها فى حضنه ، مردداً وقلبه يتمزق عليها ..

- ألف سلامة يا حبيبة بابا .. ألف سلامة ..

وجلس الطبيب بحرر روشة الدواء ، ثم نهض يناولها للمستشار (جلال) قائلا :

- طبعاً يا (جلال) بك هى محتاجة لأحد يلزمها ، والالتزام التام بالعلاج ، وسوف أعود بعد خمسة أيام لأطمئن عليها ، وإن شاء الله ستكون تحسنت .

وحمل الطبيب حقييته ، مستأذناً الجميع فى الانصراف ، واستدار منصرفاً يصحبه المستشار (جلال) ، حيث منحه أتاعبه ، ثم رافقه حتى باب الشقة .. ودعه شاكراً ، وهم بأن يعاود غلق الباب ، فإذا به (ماجى) مقبلة جرياً ، وتسرع بسؤاله بمنتهى الجزع :

- ماذا حدث ؟

أسرع يدخلها :

- تفضلى .. تفضلى ..

وأغلق الباب ، وأسرع يضغط (الإتركوم) المجاور له مستعداً البواب كي يأتى بالدواء من الصيدلية ، ثم انطلق مع (ماجى) إلى الغرفة ، لتقفز هي فوق الفراش ، منادية الطفلة وهى تضمها بين يديها :

- « شوشو » حبيبتى ! « شوشو » ! أنا ماما (ماجى) يا حبيبتى .. أنا ماما (ماجى) .

ولكن الطفلة كانت قد راحت تماماً فى النوم ، مما جعل المستشار (حسين زيتونة) يجيئها قاتلاً :

- يبدو يا هاتم أنها نامت بتأثير دواء الحقنة .

التفتت إليه (ماجى) بهلعها ، فأسرع المستشار (جلال) يقوم بالتعارف بينها وبين صديقيه القاضيين ، ثم دعا الجميع لمرافقته إلى الصالون ، فإذا بـ (ماجى) تجيئه :

- بل تفضلوا حضراتكم أنتم ، واتركونى أنا هنا معها .

وكان رد المستشار (جلال) فى امتنان حزين :

- شكراً لك يا (ماجى) هاتم ..

تفضلى حضرتك لتتناولى الشاى معنا قبل أن تنصرفى ، فالساعة الآن تجاوزت العاشرة ليلاً ..

وإذا برد السيدة :

- أنا لن انصرف يا (جلال) بك .

فجئ القاضى ، وأسرع يتبادل نظرة دهشة مع أبيه ، ثم عاد يسألها بدهشته ..

- ماذا تعنين يا (ماجى) هاتم ؟

وإذا برد الهاتم :

- أعنى ما قلته يا (جلال) بك .. لن انصرف من هنا قبل أن تسرد (شيماء) عافيتها .

ضربت الدهشة القاضى :

- ولكن هذا سيستغرق أياماً يا (ماجى) هاتم .

- ولو يا (جلال) بك .. لن أتركها . فكان جوابه الصمت ..

وكان على رأس (جلال) بك الطير ..

الفصل السادس

منذ وفاة زوجته لم تأتِ على المستشار (جلال) أيام كربة، ولا ليلالي مريرة كهذه .. ففكرة أن طائر الموت راق له أن يحول وحيدته الصغيرة ، جعلته يتنفس فرغاً وتشاؤماً .. وأول ليلة لها في مرضها قضاها جالساً في الصالة ، يشعل السجائر من السجارة، ولولا وجود (ماجى) معها في الغرفة لقضاها بجوارها في الفراش .. لم يقلح إلحاح أبيه عليه ، ولا توسلات (ماجى) له بأن يخلد إلى النوم ، كي يستطيع أن يذهب إلى عمله صباحاً وبالفعل طلع عليه النهار ، وهو على جلسته بالصالة .. ولم يكن أمامه مفر من الذهاب إلى عمله ، فذهب .. ولكنه لم يدرك مرُّ عليه اليوم .. ولا ماذا فعل أو قال حتى خرج من باب المحكمة ، فإذا به يقذف بنفسه داخل سيارته ، منطلقاً بها صوب البيت بلهفة تكاد توقف قلبه .. ولتفاجأ به (ماجى) يمرق من باب الشقة كالسهم بمجرد أن فتحته له ، يسبقه سؤاله المشحون بلهفته العاتية :

- كيف حالها الآن ؟ كيفها ؟

ولحقت به (ماجى) وهو يضمها في حضنه ، وكأنه يضم قلبه الذى كان خارج ضلوعه ، يناديها :

- « شوشو » حبيبة بابا كيفك الآن ؟ كيفك ؟

وجاءه الرد من جدها الجالس إلى جوارها في الفراش :

- أحسن .. أحسن كثيراً .

- أهى نائمة ؟

وجاءه الجواب من (ماجى) التى كانت قد جلست إلى جوارهم على حافة الفراش :

- أكلت وتناولت الدواء ، ونامت .

- ماذا أكلت ؟

- أجابه أبوه :

- (ماجى) هاتم طهت لها خضار سوتيه ، وسلقت فرخة ونطعتها منها .

أعاد القاضى توسيد طفلته فى رفق ، ثم التفت إلى السيدة ، متطلعاً إليها بامتنان طاغ :

- شكراً يا (ماجى) .

وإذا بأبيه يتدخل قائلاً وهو أيضاً يتطلع إلى السيدة بامتنان :

- على فكرة يا (جلال) يا بنى ... الهاتم لم تتم حتى الآن .

التفت القاضى إلى السيدة مندهشاً ، فإذا بوجهها شاحباً حظ
من آثار السهر ، فاتفلت سؤاله محملاً بدهشته :

- كيف ؟

وكان رد (ماجى) باسمه :

- وكيف كنت أتركها بمفردها يا سيادة المستشار ؟

وكان القاضى يحتضنها امتناناً :

- هأتا عدت يا (ماجى) ، فانهضى أنت إلى الغرفة الأخرى
ونامى .

همت السيدة بأن تجيبه بشيء ، ولكنه أسرع يقاطعها :

- لأجل خاطرى يا (ماجى) لأجل خاطرى ..

وإذا بالحاج (عبد الباسط) هو الآخر يكرر عليها نفس الرجاء :

- ولأجل خاطرى أنا أيضاً يا (ماجى) هاتم .

وجدت السيدة نفسها تتأمله بنظرة طويلة وابتسامة حانية ، ثم
تجيبه قائلة :

- أمرك يا بابا (عبده) .. سأفعل ، ولكن بشرط .

أسرع الرجل يقول :

- أوامرني يا هاتم .

- أن تكف عن كلمة « هاتم » هذه .

فوجئ العجوز الطيب ، وأسرع يتبادل نظرة دهشة مع ابنه ، عاد
بدها إلى السيدة ببصره ، فإذا بها فى انتظار جوابه بابتسامتها
الحلوة ، فلم يملك إلا أن يجيبها قائلاً :

- أمرك يا حبيبتي .

وإذا بهتفة السيدة بفرحة رصينة :

- الله ... أحلى كلمة « حبيبتي » سمعتها فى حياتى .

وإذا بها تميل على خد الرجل بقبلة رقيقة ، ثم تنهض مغادرة
الغرفة ، تاركة الرجلين غارقين فى بحر هائج من الدهشة !!

★ ★ ★

سنة أيام لا أكثر ، وكانت (شيماء) تجلس فى فراشها ،
تداعب أباهما وجددها و (ماجى) الجميلة النبيلة .. فرحة الدنيا
كلها انبثقت فى قلب بابا (جلال) ، ووحيده الصغيرة تقفز فى
حضنه ، لتداعبه بمنتهى الشقاوة ، بينما بابا (جلال) يعصرها فى
صدره ، ويغمرها بقبلاته ، وكأنها كانت فى رحلة مخيفة مفقود الأمل
فى العودة منها .. وطال عناقهما وتبادل قبلاتهما ، حتى هتف
فيهما الجد بفرحته الطاغية :

- وأنا .. أنا .. أين نصينى ؟ (عبده) ..

ودون أن تتوقف عيناه عن التحديق على وجهها أجابها :

- لدى مطلب واحد فقط .

وكان ردها برصاتها التي لا تغادرها ، وبتبسمها :

- أوامري يا جميل .

- تنامين ساعتين ، كي يمكنك تناول عشاءك معي .

وكان سؤالها وهي تدغدغه بنظراتها وابتهامتها :

- هنا ؟

- في الـ « فور سيزون » .

انفلتت منها زومة إعجاب ، أعقبتها بجوابها :

- أملك يا باشا .

واستدارت منصرفة إلى غرفة نوم الضيوف التي صارت غرفتها ،

بينما هو يشيعها بنظراته المشبعة بالاطمئنان والامتنان والإجلال ..

نعم .. ها هو الاطمئنان لها يشيع في قلبه طارداً منه رواسب

لماضى الأكيم ..

ها هما الامتنان والإجلال يحلان محل النعمة والارتياح في

قلبه ..

وقفزت الطفلة الملاكية في حضن جدّها ، ليغمرها هو أيضاً
بقبلاحة ، حتى أفافتها (ماجى) بتساؤلها في تبسم :

- وأنا أليس لى نصيب فى هذا ؟

فما كان من الجد إلا أنه أسرع بوضع الطفلة في حضنها ،
وهو يقول لها من قلبه :

- بل لك كل الشكر يا أصيلة ، يا بنت الأصول .

وكان ردّ السيدة مداعبة ، وهى تضم الطفلة فى صدرها ، وتقبلها :

- الشكر فقط يا بابا (عيده) ؟

فإذا برد العجوز ، وهو يلتفت إلى ابنه مبتسماً :

- الشكر منى ، أما الباقي فلدى ناس آخرين .

وإذا به يأخذ الطفلة منها قائلاً :

- تعالى يا « شوشو » لأخبرك بسر فى غرفتى .

ومضى بالطفلة فى حضنه ، لتجد بنت الذوات الفاتنة نفسها

مع القاضى الوسيم بمفردهما فى الغرفة ، وقد راح يحلق على

وجهها بنظراته التى تفصح بكل ما جاش به قلبه ، فلم تملك

إلا الابتسام ، قائلة له بخفوت رصين مثير مثل نظراتها :

- أخبرنى بابا (عيده) بأنّ لديك لى أشياء أخرى غير الشكر .

ها هو يرى فيها المرأة النبيلة الصادقة الملاصقة له فى محتها ،
لا الانتهازية المخدعة التى جرّعته يوماً كأس الغدر بدون مقدمات ..

وقف مكانه يشيخها بنظراته المشبعة باطمئناته وامتنانه ، حتى
خرجت من الغرفة ، فمضى إلى أبيه وابنته ، يستأذنها فى أن يأخذ
هو أيضاً قسطاً من النوم ، ومضى إلى غرفته .. ساعتان تقريباً
وكان يستيقظ على نغمة منبه (موبايله) المستقر بجواره على
الكمبيوتر .. احساس جميل بالانشراح والانتعاش غمره وهو
يغادر الفراش .. مضى إلى الحمام ، ليخرج منه بعد دقائق أكثر
انتعاشاً .. علم من أبيه أن (ماجى) مازالت نائمة ، فاستأذنه
فى أن يوقظها هو أو (شيماء) ، فكان ردّ العجوز الطيب بخفا
ظل متناهية ، وهو يهز رأسه رفضاً :

- لا أنا ، ولا (شيماء) .. إنها ضيفتك أنت يا سيادة المستشار ..

وجد نفسه يمضى إليها مرغماً .. فتح غرفتها بمنتهى الهدوء ،
وبنفس الهدوء راح يتقدم منها فى الفراش .. كانت تغط فى نومها ،
فلم تشعر به وهو يقف أمامها ، محذقاً فيها بطوفان من مشاعر
لا يعرف له وصفاً ..

مبهوراً ! لا يدرى ..

مذهولاً ! لا يدرى ..

غير مصدق ! لا يدرى ..

وله الحق فى كل هذا ..

فلم تكن هذه التى تغط فى نومها أمامه سوى مزيج من الملاكبة
الخالصة والفتنة المتأججة !

ولم تكن هذه التى تغط فى نومها داخل إحدى غرف شقته ،
وفى فراش يخصه سوى (ماجى) !!

نعم (ماجى) !!

حبيبة القلب التى ما كان يحلم حتى برؤيتها فى شارع من بعد
مجرتها إلى آخر الأرض !

حبيبة القلب التى انتزعها الأقدار يوماً من بين يديه ، لتقذف
بها فى آخر الأرض ، جاعلة منها حلمًا مستحيلًا !

ها هى فى بيته !!

داخل إحدى غرفه !!

وفى فراش يخصه ، وهو معها ..

وحدما !

معقول ؟!

حلم هذا أم حقيقة ؟!

حلم أم حقيقة ؟!

وجد نفسه يجلس بجوارها على حافة الفراش ، ويمد يده
نفساً شعرها .. وجهها .. ملامحها ، ليطمئن نفسه بأنها حقيقة ..

وفتحت الحبيبة عينيها .. فتحتهما على جلسته بجوارها ،
وسريان أصابعه على وجهها ، ونظراته الهلدة بطوفان
مشاعره .. وقبل أن تفيق من دهشتها كان قد أكمل عليها
بهمسته التي جاءت من أعماق أعماق قلبه :

.. أحبك ..

أحبك ..

أحبك ..

ولم تملك الحبيبة القاتنة إلا أن تغمض عينيها كما كانت ، فند
كان كل ما فيها استحالة ذوباً خالصاً ..

الفصل السابع

انطلق للمستشار (جلال) بحبيته القاتنة إلى لـ «فورسيزون» ،
وعلى أنغام البيانو الناعمة راح الحبيبان يتناولان عشاءهما ، ثم
راحا يحتسيان مشروبيهما ، ولكن (ماجى) ما لبثت أن نهضت
فجأة ، قائلة له :

.. لحظة يا حبيبى .

وإذا بها تمضى إلى قناد فريش البيانو ، وتسرع إليه ببضع
كلمات ، أسرع على أثرها بتغيير موسيقاه إلى موسيقى
أغنية « حليم » « أنا لك على طول » ، بينما استدارت هى
مرتدة إلى حبيبها ، ماضية به إلى (البست) ، وواضعة نفسها
فى حضنه بادللة رقصتهما بهمستها المسحوبة من قلبها :

.. أنا لك على طول خليك لى .

وذاب قلب القاضى العاشق ..

وذاب وجدانه ..

وذاب كل كيانه .

ووجد نفسه يضغطها فى صدره ، وكأنه يريد أن يحشرها داخل ضلوعه .. آه لو أستطاع أن يفعل .. لجعل مأواها الأبدى بين الضلوع .

ها هو يوقن كل اليقين ، بأنه لا حياة له بدونها ..

ها هو يقبض عليها فى حضنه ، وكأنه يقبض على الحياة ذاتها .. وشعرت هى به .. بحاجته إلى المزيد من الاطمئنان .. ومزيد أكثر من السقاء ، فكانت همستها له :

- خذنى من هنا .. خذنى بعيداً عن العيون .

أسرع يمضى بها ، وبينما هما فى طريقهما إلى باب الرستوران ، إذا بعينين تحدقان فى (ماجى) بمنتهى التركيز ، وإذا بصاحبتهما تتساعل بمنتهى الدهشة :

- أليست هذه (ماجى) هاتم ؟!

ولم تكن صاحبة السؤال سوى (نرمين) صديقة (رامى) ، والتي كانت تجالس خطيبها وصديقها المشترك ، والذي التفت بدوره إلى حيث تنظر خطيبته ، ليصاب هو أيضاً بنفس الدهشة ، ولينفلت منه تساؤله :

- وليس هذا الذى معها هو القاضى الذى ينظر قضية (رامى) ؟!

وكان ردّ (نرمين) :

- نعم هو .

ثم أردفت بدهشتها الطاغية :

- أنا لا أفهم شيئاً .

وأجابها خطيبها بنفس الدهشة :

- ولا أنا !

وعاد المستشار (جلال) إلى منزله بمفرده .. فبشفاء

(شيماء) انتهت مهمة (ماجى) التى تطوّعت بها ، وعادت إلى منزلها .. لم يشعر بأثر ذلك إلا حينما دخل الشقة .. كان الحاج

(عبد العزيز) و(شيماء) نائمين .. وكانت الشقة مظلمة إلا من نور خافت بالصالة ، وكانت غارقة فى سكون بارد ..

ياااه ! ما هذه الوحشة ؟!

وقف وسط الصالة يدبر عينيه على الجدران وكأنه يعاتبها على استقبالها البارد ، فإذا بها وكأنها هي التي تعاتبه على عولته بدون الحبيبة .. لقد تعودوا ، اتلفوها ، أحبوها بعدما ربت فيهم الإحساس بالحياة .. وهو نفسه لا يمكنه إنكار ذلك ، فقد ظل لأكثر من خمس سنوات يراها جدراناً صماء خرساء لا حياة فيها ، حتى جاءتْها الحبيبة الجميلة بالحياة .. كل الحياة .. وجد نفسه يخطو نحو غرفتها .. يفتح بابها .. يتقدم خافق القلب من الفراش الذي ضمها لسبع ليالٍ .. جلس على حافته يتحسسها ، ويسرى عليه بنظراته المثقلة بخفقات قلبه .. توقفت يده على البيجامة التي كانت ترتديها ، فسكنت نظراته هي الأخرى عليها ، كأنها تسألها عن حالها في فراق صاحبيتها .. فجأة انتبه على صوت أبيه يسأله مشفقاً :

- ولماذا نعدّب أنفسنا والماء في أيدينا ؟

التفت إليه بعينين تكاد تبكيهما ضراوة الوجد ، فلم يملك الأب إلا أن يعدد سؤاله ، وهو يجلس إلى جواره على حافة الفراش :

- لماذا وأنت تحبها كل هذا الحب وهي أيضاً تحبك ؟

وبمرارة تجربته القديمة معها انساب سؤاله :

- وما أدراك أنها تحبني ؟

وبلبتسامة مشفقة أجابه أبوه :

- سؤال لا يليق بقاض ، بصيرته فوق بصيرة الناس .

- لأنها فعلت ما فعلت مع (شيماء) ؟

- بل فعلته معك أنت يا حضرة القاضى .

- لأنها فعلت ذلك معي ؟

- بل لأن ما فعلته كان يفوح برائحة الحب ، لا رائحة لواجب .

- قد تكون محقاً يا بابا ، ولكن ..

ولكن ماذا يا حضرة القاضى ؟

- ولكن لا تنس الفصل القديم من الرواية .

- آه ..

وأطرق الأب زامناً شفثيه زمة استنكار ، رفع بعدها عينيه مرة لفرى إلى ابنه قائلاً :

الفصل الثامن

خفق قلبها بذنوب الحنين ، وهى تسأله بخفوتها الداهش :

- لماذا جئت بنا إلى هنا ؟!

كنا يسيران متأبطين بعضهما فى طرقات جامعة القاهرة ، وقد خلت عليهما تماماً ، فقد كانت الساعة قد جاوزت التاسعة ليلاً ، ولم يكن هناك ثمة اثر لبشر أو حركة أو صوت ، فقط سكوت حالم يرغل فى النور الأبيض الشاهى المنسكب من أعمدة الإنارة فوق الطرقات المرصوفة السمرء ، وحدائقها المنمقة الرقيقة ، جاعلين من الجامعة العريقة مدينة ناعمة رومانسية حاملة ترفل فى وداعتها ورقتها ، ثم إذا بالمدينة الساكنة تبدو وكأنها فوجئت بهذين العاشقين ، وبريحهما الذى هو ليس غريباً عليها .. وخيل للطرقات وللحدائق ولأبنية الكليات العتيقة أنهم يعرفون هذين العاشقين من قبل ..

ريحهما ليس غريباً !

ولا مشيتهما هذه ..

ولا أنفاسهما ..

ولا ملامحهما ..

- يا بنى إذا كان هذا الفصل جهلاً منها ، فمن الحق ألا تتجاوز ، وإذا كان ذنباً فمن الظلم ألا تغفره .

ورنت النصيحة فى عقل القاضى ، ومع ذلك هم بأن يعلق بشيء ، ولكن الأب أسرع يتم له نصيحته :

- وأنت الآن قاضٍ ، لا يليق بك الظلم ولا الحق .

ومرة أخرى هم القاضى بأن يعلق بشيء ، ومرة أخرى سببه أبوه :

- لا تجادل يا حضرة القاضى ، فما عاد هناك وقت حتى للجدل .. هيا أدركا حيكما من عجلة الزمن قبل أن تدهسه مرة أخرى .

هيا .

فمن يكونان ؟

آه ..

إنهما (ماجى) و « جلجل » ..

أجمل وأبهى والذ حبيبين شاهدتهما الجامعة منذ ما يزيد على العشرين عامًا ..

يا لعودهما الجميل مثلهما !!

أكثر من عشرين عامًا مضت على غيابهما .. وأبدًا لم تنسهما ..

أوطان هواتنا أكثر وفاءً منا ... ننساها وأبدًا لا ننسانا ..

بل تظل تهفو إلى عود جميل منا ، مهما طال بها الأمد .

وها هما العاشقان الجميلان قد عادا إلى منبت حبهما الأول .

ها هما (ماجى) و « جلجل » الجميلان يرددهما إلى هنا شيء ما .. ترى ما هو ؟

وعادت الحبيبة الجميلة تسأل حبيبها بخفوتها المضطرب بخفوق قلبها :

- حبيبى لماذا جئت بنا إلى هنا ؟

وتوقف بها « جلجل » على سلم كليتهما الحبيبة ، فاتحًا

أحضان عينيه لها ، وهامسًا بالجواب :

- كى نبدأ من جديد يا حبيبة العمر ..

وازدادت الحبيبة دهشة ، وازداد قلبها خفقانًا :

- من جديد ؟!

وسرت خفقات قلبه هو أيضًا فى صوته الهامس ، فى نظراته التى راحت تهيم على وجهها الجميل هيام القراش العاشق على صفحة بدره الساطع الذى يفتته :

- نعم يا حبيبة العمر .. نعم .. من جديد .. من حيث افترقنا قبل ثلاثة وعشرين عامًا .. جننا كى نسقط من بيننا هذه السنوات الطويلة بأيامها وليلاتها وقسوتها .. كى نصل ما انقطع بيننا قبل هذه السنوات المريرة .. كى نمحو من قلبينا مرارتها وأسأها وشقاءها .. كى نتنصر للحب على ذلك المجهول البغيض المترص به دومًا ، والذي لا يدع قصة حب إلا وقد ذبحها ، وكأنه يحيا على أشلاء الحب ولحومه ودمائه ..

و

وانقطع سيل البوح .. فقد طغى وجد العاشق الوسيم ابن الأربعينات ، مندفعًا هادرًا من قلبه ، ومن كافة حناياه ، مسابقًا الدماء فى شرايينه ، بالغا الحلقوم ، طافحًا على الوجه ، راسمًا على الملامح سكرات الخوف والرجاء ، مما جعل الحبيبة تسرع

بضمه فى حضنها ، ضمة الطير لوليدته ، هاتفة فيه بخفوتها
المشفق المختلج بخفوق قلبها :

- حبيبى .. طمنن قلبك .. طمننه يا حبيب للقلب والعمر ، طمأنه ..
فهنأنا بين يديك .. ها أنا ملكك بكل ما فى .. بقلبي .. بعقلى ..
بكنوز أتوتنى .. بينابيع حبي وحناتى .. بكل ما تبقى لى من رصيد
فى الحياة .. ها أنا أمام عينيك ، وبين يديك .. وفى حضنك .. فطمئن
قلبك يا حبيب القلب .. طمننه بأن تلك السنوات التى تتحدث عنها
طويت .. صفحة وطويت إلى الأبد .. وطمننه بأن ذلك المجهول البغيض
المتربص دوماً للحب ، والذي طعن حبنا يوماً ما بسكينه الغادر أبداً
لن يجرؤ على الاقتراب منه مرة أخرى .. وطمننه بأننى وعيت
الدرس ، ونضجت ، وأيقنت بأنه لا وطن لى إلا حضنك هذا ..

فقط يا حبيبى ..

فقط عدنى بشيء واحد ..

وانقلت تساؤل حبيبها ملهوفاً من قلبه .. من أعماق قلبه :

- ما هو يا حبيبة العمر ؟

- عدنى ألا تخذلنى أبداً يا حبيبى ..

انقلت تساؤله مندهشاً مستكراً :

- أنا ؟! أنا أخذك يا (ماجى) ؟!

وكان ردها بمنتهى الرجاء :

- حبيبى .. عدنى .. عدنى ..

وجد نفسه يرفع رأسها عن صدره ، هاتماً على وجهها
بنظراته المرفرفة بخفقات قلبه ، حتى اتسبب من شفتيه وعده
لها :

- أعدك يا حبيبتى .. بكل قدسية الوعد أعدك ..

وكانها اقتنصت وعد العمر ، أغضت الحبيبة عينيها على
العهد الثمين ، معيدة رأسها على صدر حبيبها ، سابحة فى
إحساسها الهائى بالأمان ..

خمدت أزمة القاضيين (مكى) و (البسطاويسى) ، وأستعاد نادى
القضاة هدوءه الجليل الجميل ، وعاد يستقبل أهله من رجال
القضاء وذويهم ، ومن بينهم كان القاضيان (حسين زيتونة)
(خالد الصاوى) ، والذان ما لبثا أن نهضا مستقبلين صديقهما
المستشار (جلال عبد الباسط) وصاحبه القاتنة المقبلة معه ،
وبادرهما المستشار (حسين زيتونة) ، وهو يضافح المستشار
(جلال) :

- أهلاً .. أهلاً (جلال) بك ..

وأردف ، وهو يصافح (ماجى) :

- أهلاً (ماجى) هاتم .

وأجابته (ماجى) بابتسامتها الفاتنة مثلها :

- أهلاً (حسين) بك .

وأردفت وهى تصافح المستشار (خالد الصاوى) :

- مبروك لحضراتكم .

وتسأل المستشار (حسين زيتونة) ، وهو يشير لها بالجلوس :

- علام يا هاتم ؟

جلست بينهم مجيبة :

- على انتهاء أزمة سيادة المستشارين (مكى) و(البسطاويسى)

بخير .

ابتسم المستشار (خالد الصاوى) متسائلاً فى إعجاب :

- وهل كنت تتابعينها يا (ماجى) هاتم ؟

وجاءه الجواب سريعاً ..

حاسماً :

- طبعا يا باشا .

ثم إذا بها تردف قللة وهى توزع نظرات الإجلال على وجوه
القضاة الثلاثة :

- قدسية القضاء راسخة فى قلب الشعب كله .. شيخاً وطفلاً ..
متعلماً وجاهلاً .. ولقضائنا فى قلوبنا جميعاً مكانة لاتدانيها مكانة ..
ويوم أن يخطر لمخلوق مهماً علا عرشه أن يمس هذه المكانة ،
فإنه لن يجنى من وراء هذا سوى الخسران المبين .

وسكتت الهاتم ، فإذا بعيون القضاة الثلاثة تتعلق ببعضها فى
دهشة وانبهار طاغ ، حتى التفت إليهما المستشار (جلال)
بنظراته المنيرة ، قائلاً لزميليه :

- هذا ليس غريباً من (ماجى) هاتم .. فأولاً هى حقوقية ابنة كلية
لحقوق .. وثانياً هى ربيبة عقلة مصرية عريقة مشهود لها بوطنيتها .

وكان ردّ (ماجى) :

- شكراً يا (جلال) بك .. وأكرر تهنئتي لحضراتكم .

وإذا برد المستشار (حسين زيتونة) مداعباً :

- عقبال تهنئتك لـ (جلال) بك يا (ماجى) هاتم .

فوجئت (ماجى) :

- تهنئته ... علام يا (حسين) بك ؟

- على انتهاء أزمته هو أيضاً .

ازدادت دهشة (ماجى) ، والتفتت إلى المستشار (جلال)
متسائلة :

- أية أزمة يا (جلال) بك ؟

وإذا بالجواب يأتيها من المستشار (خالد الصاوى) :
- أزمة سى (رامى) !

شئ ما اختلج بشدة فى وجه (ماجى) ، وجعل نظراتها
تتسمر على وجه المستشار (خالد الصاوى) لوهلة ، أسرع
تبتريها بابتسامة مرتعشة وسؤال متوتر :
- من يكون (رامى) ؟

وجاءها الجواب من المستشار (حسين زيتونة) :
- قاتل الموسم .

وإذا بالمستشار (خالد الصاوى) يسرع بالالتفات إلى المستشار
(حسين زيتونة) قائلاً بلهجة يشوبها العتاب :

- تقصد « متهم الموسم » يا (حسين) بك .

وكان ردّ المستشار (حسين) بشئ من الخجل :

- آسف يا (خالد) بك .. ولكن المشكلة أن (جلال) بك مسلم
فى داخله بأنه القاتل .

ولم يملك المستشار (خالد الصاوى) إلا أن يلتفت إلى المستشار
(جلال) بنظرة متسائلة ، فكان جواب المستشار (جلال) بشئ من الضيق :

- (حسين) بك عنده حق .

ثم إذا به يردف وكأنه يحدث نفسه :

- ليس عندى أدنى شك فى أن هذا الولد هو القاتل .

وللمرة الثانية وخز (ماجى) نفس الشئ المجهول المؤلم ،
فى حين انفلت تنبيهه المستشار (خالد الصاوى) المشوب
بإنزعاجه :

- (جلال) بك !

وكان ردّ المستشار (جلال) بشئ من الأسى :

- لا تقلق يا (خالد) بك .. هذا شعورى كإتسان لا كقاض ..
لا تقلق ..

وهذا هاجس المستشار (خالد) فى حين أردف المستشار
(جلال) يزيده اطمئناناً :

- ثم إنك لا تنس يا (خالد) بك ويا (حسين) بك أنه في قضية كهذه الإدانة تشترط إجماع آراء القضاة الثلاثة .

وأطمأن القاضيان ، ولكن في المقابل بدت (ماجى) ونسب مجهول وكأنها هوت في قاع بلا قرار .

الفصل التاسع

ما إن وقعت عيون (نرمين) وخطيبها على (رامى) فى نفس الاتهام ، حتى اندفعوا نحوه ، هامين له معاً فى انفعال :
- (رامى) ! أمك هنا فى « مصر » .

التفصص (رامى) من غرابية ما سمع ، وإذاب (نرمين) تكمل عليه :

- أعلم مع من شاهدناها ؟

حنجها (رامى) بذهوله متسائلاً ، فكان جوابها :

- مع المستشار (جلال عبد الباسط) .

هنا وجد (رامى) نفسه يبتسم مشفقاً على الفتاة وخطيبها ، ويو يسألهم :

- ما هذا ؟ أهو تأثير حزنكما على ؟

وكان ردّ (نرمين) :

- لا يا (رامى) .. نحن لا نهذى .. أمك (ماجى) هاتم كانت مع المستشار (جلال) .

وإذا بخطيبها يؤمن على حديثها :

- نعم يا (رامى) أمك هنا ، وشاهدناها بعيوننا مع
القاضى .

هنا اختفت ابتسامة (رامى) ، لتتغمد ملامحه بعقدة الذهول ،
ولتشخص عيناه فى صديقيه ، وقد هم بأن ينطق بشيء ، ولكن
صيحة الحاجب كانت أسبق منه .

- محكمة !

وأطبق الصمت والسكون على القاعة ، ليبدأ وكيل النيابة
الشاب مرافعته :

- حضرات المستشارين ..

ليلة أمس ، وبينما كنت فى منزل عائلتى ، فوجئت بمجموعة
من أصدقاء شقيقى الطالب الجامعى تسأذننى فى الحديث إلى ،
وبأحدهم يبادرنى متسائلاً :

- يا باشا .. لماذا تجهد نفسك فى قضية كهذه ؟ فحتى لو حدث
أن حكمت المحكمة على (رامى) بالإعدام ، فلن يُعدم .

ذهشت وسألته :

- كيف ؟

وكان ردّ صديق ثان بثقة عجيبة :

- سيتم تهريره إلى خارج البلاد .

وزدادت دهشتى ، وعدت أسألها :

- كيف ؟

فكان ردّ فتاة من بينهم وببساطة متناهية :

- بأموال وعلاقات عائلته يا أستاذ .

وهكذا يا حضرات المستشارين ، وضع هؤلاء الشباب يدي
على مريط الفرس فى هذه القضية ، سواء بقصد أم بدون قصد .

فمنذ حقبة من الزمن أبليت « مصر » بمناخ سياسى
واجتماعى حمل معه الحياة للطفيليات والآفات ، ولكل ما هو
خبث وضرار ، وحمل الموت البطيء لكل ما هو طيب ومفيد ..
وكان من بين الشطر الأول المحظوظ فنة عجيبة راحت تنمو
وتشتد وتتعافى ، وتتوحد بسرعة عجيبة ، منتهزة فرصة هذا
لنماخ المثالى لها ، حتى كوتت طبقة خاصة بها ، سرعان
ما انفصلت عن المجتمع الأم ، معلنة دولتها المستقلة ، ورافعة
رايتها الخاصة بها ، ومشهرة دستورها ..

صورة فنة اشدتت ، وتعافت ، وطغت ، وافترت ، وصارت
تتخذ بممارسة طغيانها وافترانها .. وليتها تقترى على غرباء ..
بل على إخوة لهم ، كل ذنبهم أنهم فقراء ..

هذه هي الصورة يا حضرات المستشارين .. صورة ألميين
غدوا وحوشاً مسعورة بثرانهم الفاحش ، وينفوسهم المريضة ..
فاتطلقوا يعيشون فى الأرض فساداً ، مستبجحين كل ما يصادفهم
حتى أعراضنا وأرواحنا ..

هذه هي الصورة يا حضرات المستشارين .. صورة ظلم صار
قانوناً ، وطغيان ظن أنه لا رادع له ..

ولكن لا ..

لا وألف لا ... يا حضرات المستشارين ..

سيظل ميزان العدل منصوباً فى يد الرحمن إلى يوم الدين .

وسيظل هناك خلفاء للرحمن فى أرضه ، يقيمون عدله إلى أن
يرث الله الأرض وما عليها .

وما أنتم إلا هؤلاء الخلفاء يا قضاة الأرض ، وسدنة العدالة .

وما أنتم الآن إلا فى موقف مشهود ، قلوبنا معكم فيه ..

وارتفع صوت وكيل النيابة الشاب مزلزلاً القاعة :

- نعم يا حضرات المستشارين .. موقفكم هذا مشهود ..
يشهده المولى - عز وجل - من فوق عرشه ، وملائكته لينظروا
ما أنتم فيه فاعلمون .

فالعدل .. العدل .. العدل .. يا سدنة العدل ..

والعدل هنا هو القصاص يا حضرات المستشارين ..

القصاص من وحش مسعور قتل نفساً بغير حق ..

وحش لم تأخذه ذرة رحمة وهو يقتل بغير ذنب ، فلا تأخذنا به
ذرة رحمة ونحن نققص منه بذنبه ..

ومن هنا يا حضرات المستشارين ، فإن النيابة - وبعد أن

نظمت كل الأدلة بإدانة المتهم (رامى شريف السلحدار) ..

نطالب عدالتكم بتوقيع أقصى عقوبة على المتهم ، وهى الإعدام

لنفاً .

الفصل العاشر

من سواها ؟!

(ماجى) !

بجمالها الذى يذيب الحجر ..

بطزاجة أنوثتها المشتعلة ..

بالجنة الموعودة التى تلون عينيها ..

بكل هذا ، من سواها بمقدوره انتشال القاضى الوسيم من طحنة أعصابه التى خرج بها من الجلسة ، وغسله من آثارها فى طرفة عين ، بل وغمره بقطفة طازجة من السعادة والبهجة والانتعاش ..

انطلقت به هذه المرة بسيارتها « الشيروكى » من أمام المحكمة إلى طريق « القاهرة الإسماعيلية » الزراعى ، وقد أدارت له رائحة « ثومة » « هذه ليلتى » .. تلك الأغنية التى تذيبه متى سمعها ، فما البال وهى تحمل له الآن وعد العمر .. استرخى فى مقعده ، تاركاً نفسه تغتمس بهذا الجمال الغامر ..

جمال الجببية الفاتنة المنطلقة بالسيارة ، بينما عيناها نهدهانه بكل ما فيها من سحر وفتنة ووعود .. وجمال شدو « ثومة » الذى يسكر الروح ، وجمال الطريق المفروش على لجاببين بالخضرة المتوضئة بحمرة شمس الأصيل .. شلال غامر من الجمال ، جعله يروح فى إحساس هائى ، حتى رن (موبيله) .. نحه فإذا بحبيبة قلبه (شيما) .. أسرع بجيبها :

- « شوشو » حبيبتي ! آسف يا قطتى لتأخرى عليك .. أنا مع ماما (ماجى) .. الله يسلمك يا حبيبتي .. لا ، كلى أنت مع جدو ، فسوف أعود متأخراً .. شكراً يا حبيبة بابا .. باى ..

وأغلق (الموبيل) باسماً ، فقد أسعده صوت قطته الصغيرة ، التفتت (ماجى) إحساسه الذى أضاء وجهه ، فابتسمت نلته :

- نسيت أسألك عن عمرها .

- أول يناير القادم ستتم السابعة .

اتفلتت دعابتها :

- إذن فقد أنجبته وأنت عجوز .

وكان رده بشيء من المرارة :

- تزوجت وأنا اقارب الأربعين من عمري .

شاع الدلال فى نبرتها :

- كنت تنتظرنى ؟

- كنت انتظر النسيان .

انفلتت منها نظرة تحد مأكرة :

- وهل نسيت ؟

وجد نفسه يتأملها ملياً بنظرة عميقة تفيض استسلاماً أكده

جوابه :

- كنت أعتقد أنى نسيت وها أنا اكتشفت أننى كنت واهماً ..

رقص قلبها طرباً لاعترافه ، دون أن يظهر أثر لذلك على

وجهها ، ولا فى نبرتها ، بل بدت مشفقة عليه وعلى نفسها ،

وهى تسأله :

- إنى فأتت تعترف بأنك لارواجك ولا إيجابك ، ولا حتى السنوات

الطويلة استطاعوا أن ينسوك حبنى .

وجاءها الرد بمنتهى الاستسلام :

- نعم .. أعترف .

وكان ردها وهى تغالب دموعها :

- إنى فعليك أن تصدقنى حين أعترف لك أنا أيضاً بأنه

لارواجى ، ولا إيجابى ، ولا السنوات الطويلة التى باعدت بيننا

استطاعوا أن ينسونى حبك .

باله من اعتراف !!

اعتراف وقع فى قلبه .. فى أعماق قلبه كقطرة رحيق

صفى تحمل الفرحة والأمل وشهد الحياة .. وجد نفسه يعانقها

بغنية بكل ما فى القلب من حب ومن حنين .. وتحركت يده

محتضنة يدها تبثها خفق القلب ، ولفح الحنين .. حنين قلب كواه

لقماً ثلاثة وعشرين عاماً ، ثلاثة وعشرين عاماً بكل ما فيها من

للم ومن ليال ومن ساعات .. وغابت عينا القاضى الوسيم العاشق

فى عناق عيني الحبيبة الفتاة ، حتى أفاقا على سرينة سيارة

فرقت بجوارهما ؛ لتنفلت منهما ابتسامتهما تحملان خجلهما

ونشوتهما ..

كانا قد بلغا طريق قناة السويس الممتد بمحاذاة القناة ، رابطاً
أوصال مدنها الباسلة من « بورسعيد » شمالاً إلى « السويس »
جنوباً .. وكان قرص الشمس قد سقط خلف خط الأفق مخفياً أثر
حمرته الملتهب فوق الحقول الخضراء الممتدة على يمين الطريق
لترسم لوحة طبيعية رباتية بديعة ، راح القاضى الوسيم يروى
عينيهِ منها لبرهة ، ثم التفت نحو القناة على يساره ، ليرتوى
بجمالها هى الأخرى .. فقد كانت جميلة حقاً بصفتها الفضية
الرفيعة الوداعة .. وكعادته كلما قادته الظروف إليها ، وجد
نفسه يتذكر شقيقه الأكبر الذى استشهد فى حرب أكتوبر .. ثلاثة
وثلاثون عاماً مضت على استشهاده ، ولم ينسه يوماً .. ما عد
يتذكر أولئك الذين اقتنصوا أعظم انتصارات « مصر » على
الإطلاق بأرواحهم ودمائهم سوى ذويهم .. تحركت شفتاه
متمتعة بالفاتحة على روحه ، وما أن أتمها حتى كانت الحبيبة
الفاتنة تستدعيه من شروده :

- ها الذى أخذك منى يا حضرة القاضى الوسيم ؟

- أخى المقدم (فتحى) الله يرحمه .

ربتت على يده مواسية :

- كل هذه السنوات ، وما زلت متأثراً بوفاته ؟

- تقصدين استشهاده .

قلتها بلهجة تحمل عتاباً واضحاً ، جعلها تسارع بالاعتذار له
على الفور :

- أنا أسفه يا حبيبى .. خائنى التعبير .

أجابها مبتسماً :

- لا عليك يا حبيبتى .

ومد يده فى جيبه مستخرجاً علبة سجاره .. أشعل سيجارة
وراح للحظات مع دخانها ، حتى قطع عليه شروده صخب
مجموعة من الشباب والفتيات ، يقفون ويرقصون فوق يخت أتيق
بتهادى فوق صفحة القناة .. توقف بعينيهِ وبشروده عليهم ،
حتى سمع (ماجى) تقول :

- يخيل لى أن مصرى أكتوبر كانوا آخر المصريين الذين

نقرأ عنهم فى كتب التاريخ .

التفت إليها مستغرباً العبارة :

- عفواً يا (ماجى) .. ماذا تعنين ؟

- أعنى أنه لو نشبت حرب الآن لن يكون لدينا محاربون أمثال محاربى أكتوبر ، ولا جبهة شعبية رائعة مثل التى وجدت آنذاك .

صدّم القاضى :

- أنت ترين هذا ؟

أشارت بعينيهما إلى الراقصين والراقصات فوق اليلخت :

- ها هو واقع الحال يا سيادة المستشار .

انقلبت منه تساؤله مشحوناً بالسخرية :

- واقع الحال ؟! وهل واقع الحال فى هؤلاء يا (ماجى)

هاتم ؟

وأخذ نفساً من سيجارته ، ثم أردف يجيب لها سؤاله بنفسه :

- واقع الحال يا (ماجى) فى الناس الذين يصلون ليلهم بنهارهم

عملاً .. أيّا كانت مواقعهم .. فى الناس التى تقاات صعوبة الأيام

التي تعيشها .. فى الناس التى اعتصرتها أطول أزمة اقتصادية

فى تاريخنا ، ومع ذلك لم يهن عزمها ..

واقع الحال يا (ماجى) ليس فى هؤلاء الذين يملكون كل شيء ولا يفعلون لبلدهم شيئاً ، بل فى الذين لا يملكون شيئاً بالمرّة ، ومع ذلك لا يتوقفون عن العطاء .

ولم تستطع بنت الذوات تمالك تساؤلها الذى فضح عدم فتّاعها بما تقول :

- كيف يا سيادة المستشار ؟ كيف يعطى من لا يملك ؟

وكان ردّ المستشار عليها بمنتهى الهدوء :

- سأخبرك كيف يا (ماجى) بمثال حقيقى مائة فى المائة ..

أعرف مصارعاً شاباً حصل على سبع جوائز محلية ودولية وفى

لوقت ذاته يعمل نجار مسلح ، كى يستطيع تدبير نفقات هذه

لرياضة المعروفة بتكاليفها الباهظة .

ضرب الابههار بنت الذوات :

- معقول !

- نعم .

- أو ما يزال يفعل ذلك ؟

لك ، أسرع يسألها مندهشاً من نفسه لعدم سؤاله لها ، رغم أنها تطلق به منذ ما يزيد على الساعة ونصف ، وكان ردها مبتسمة ، ومندهشة هي الأخرى لأمره :

- أتسألني بعد أن وصلنا ؟

وتوقفت أمام فيلا بنية أنيقة منتصبة في خيلاء على ضفة القناة ، بمدخل بلدة « كسفرية » .. ضغطت كلاكس السيارة ، فافتحت بوابة الفيلا الضخمة ، بواسطة حارسين شابين في غاية الأتاقة .. مضت بالسيارة في ممر طويل محفوقاً بحديقة آية في الروعة ، يتناثر فيها ما يقرب من نصف الدسنة من الحرس الأكيقين المسلحين ، موزعين على مسافات متساوية .. توقفت أمام الباب الداخلى للفيلا ، فأسرع اثنان من الحرس بفتح بابى السيارة للضيقة الفاتنة ورفيقها بمنتهى الاحترام ؛ وليقوداهما إلى داخل الفيلا ، بينما القاضى الوسيم يجاهد فى إخفاء دهشته وفضوله بوقاره ورسائته .. ولكن داخل الفيلا كانت المفاجأة الثقيلة التى أطاحت بكل قيود دهشته .. إنها شخصية صاحب الفيلا الذى أقبل عليهما مرحباً بمجرد دخولهما بهوها الرئيسى :

- نعم .. بل ومُصِرٌّ على بلوغ العالمية بطروفه هذه .

ولم تستطع بنت الذوات كبح جماح انبهارها الذى طغى ، ولم تستطع منع تساؤلها :

- أيمكننى معرفته .

وكان ردُّ القاضى فى إجلال متناهٍ للبطل الغائب :

- لا طبعاً ، فهو يعمل بهذه الحرفة متتكرراً .

وإذا بمداعبتها الجريئة :

- آه لو عرفت له طريقاً ؛ لتحفظت عليه فوراً .

وإذا بضحكة القاضى الوسيم تنقلت منه ، ثم يجيبها قاتلاً :

- لو حدث هذا ما صار بطلاً إلا عليك .

وجلجلت ضحكة بنت الذوات بأنوثة حارقة .. فالأنثى هى الأكثرى مهما اختلفت البيئات ..

★ ★ ★

حتى هذه اللحظة لم يكن القاضى الوسيم يعلم إلى أين تأخذه هذه الفاتنة التى اختطفته من أمام المحكمة .. وحينما انتبه إلى

- معقول !

هكذا انطلقت هتفة القاضي الذاهلة داخل نفسه ، و (ماجى)
تقدمه للرجل الذى يمثل ركنًا رئيسيًا من أركان الدولة :

- سيادة المستشار (جلال عبد الباسط) .

وكان ردّ الرجل المهيب باسمًا ، وهو يمد يده للقاضى الوسيم
مصافحًا :

- أهلاً سيادة المستشار .. حمداً لله على السلامة .

ولم يعرف القاضى الوسيم كيف خرج رده من شفتيه :

- الله يسلمك يا افندم .

ونظرت (ماجى) بعينيها الفاتنتين الباسمتين إلى القاضى
المذهول ، قائلة فى تبسم :

- وطبعًا يا سيادة المستشار سيادتكم تعرف الباشا .

ولم يملك القاضى لها جوابًا سوى ابتسامة ذاهلة ، انتشله
منها الباشا قاتلاً :

- تفضلا .

وقادهما إلى الصالون المطل على مياه القناة عبر شرفة
زجاجية ضخمة ، حيث دعاهما إلى الجلوس ، وجلس هو
قبالتها مرحبًا ، فأجاباه بالشكر ، ثم التفتت (ماجى) إلى
القاضى الوسيم تشاكسه بسؤالها :

- ما رأيك فى هذه المفاجأة يا سيادة المستشار ؟

وكان ردّ المستشار بدهشته التى لم تبرحه :

- وصف مفاجأة هنا لا يكفى يا (ماجى) هاتم .

وكان ردّ الباشا مداعبًا :

- المهم أن تكون مفاجأة سعيدة يا سيادة المستشار .

وكان ردّ المستشار :

- بل هى وسام على صدرى سأظل أفخر به طيلة حياتى يا
معالي الباشا .

وكان ردّ الباشا ببشاشته الحلوة :

- بل إنه شرف لى أن التقى بواحد من قضائنا الذين نفخر
بهم .

سؤال مرق في بال القاضي ، ولكنه سرعان ما أفاق منه على صوت خادمة الباشا القليبية :

- السفرة جاهزة يا باشا .

ونهض الباشا مصطحباً ضيفيه إلى المأدبة الحافلة ، والتي بدت بضخامتها وصنوفها وكأنها وليمة احتفال ، لا مجرد مأدبة عادية .. وأجلسهما الباشا ، وجلس هو في صدر المائدة قائلاً لهما بلهجته الراقية :

- تفضلاً .

ومن المأدبة الحافلة إلى الصالون البحري الفاخر مرة أخرى ، حيث راح كل منهم يتناول مشروبه الذي طلبه ، ودون أن يهدم سؤال القاضي الوسيم بداخله ..

ما الحكاية ؟

ولكن السؤال المشاكس فجأة توقف .. أوقفته (ماجى) بقولها للقاضي الوسيم :

- طبعاً يا سيادة المستشار الوسيم سيادتكم منذ وصولنا إلى هنا وأنت تضرب أحماساً في أسداس عما وراء هذا الذي يحدث .

زهور .. أغلى من الحب

- شكراً يا باشا .

وعادت (ماجى) تقول للقاضي :

- بقى أن تعلم يا سيادة المستشار أن الباشا كان صديق العمر لبابا - الله يرحمه - ، ويعتبرنى ابنة له .

وكان رد الباشا قبل أن يعلق القاضي بشيء .

- بل أنت ابنتى فعلاً يا (ماجى) .. وأنا ، ومنصبى ، وكل ما أملك ملك لك .

وكان رد (ماجى) :

- وأنا ليس عندى أدنى شك فى هذا يا باشا .. وفخورة به ..

شئ ما استوقف القاضي . وحرك فيه شعوراً غامضاً ،

وهو أن (ماجى) وهى تجيب الباشا بهذا كانت تتنظر إليه هو ، لا إلى الباشا ، وكأنها تبعث له عبر نظراتها برسالة ما ..

بل إن عبارة الباشا الأخيرة - (ماجى) فاحت منها رائحة نفس الشئ ..

ما الحكاية ؟

وكان ردَّ القاضى مكابذاً لهفته برصانته :

- يكفينى شرفاً وجودى معك أنت والباشا يا (ماجى) هانم .

وكان ردُّ الباشا برقيه :

- بل الشرف لنا نحن يا سيادة المستشار .

وعادت (ماجى) تكمل حديثها للقاضى :

- أنت هنا يا سيادة المستشار لتطلب يدى من الباشا ،

!!!!!!!!!!!!!!

قنبلة !!

قنبلة خرافية دوى انفجارها داخل المستشار ، مبعثراً شظاياها فى انحاء كيانته ، مفجراً كافة براكين ذهوله ، وجاعلاً عينيه تتسمران على وجه المرأة الفتنة العجيبة ، فإذا بملامحها جادة ، تؤكد ما قالته ، وإذا بعينيها تتطلعان إليه انتظاراً لردّه .. التفت إلى الباشا ، فإذا به هو أيضاً يتطلع إليه بعينين نافذتين متسائلتين ، وهو يسحب نفساً متأثياً من سيجارة الكوبى الفاخر .. عاد بنظراته المصلوبة بذهولها إلى وجه (ماجى) ، فإذا بوجهها قد انطفأ انكساراً ، وإذا بها تقول بكل خذى وألم النادم :

- هأنا يا (جلال) أرد لك حقك الذى فى عنقى .. فذات يوم بعيد ارتكبت سقطّة عمرى بأن خذلتك وتخلّيت عنك ، واليوم أنا أعرض نفسى عليك ، فإذا ما قبلتني كنت أسعد امرأة فى الوجود ، وإذا ما رفضتني ...

ولم تكملها ، فقد أسرع (جلال) بمقاطعتها راجئاً :

- لا يا (ماجى) .. لا تكملها .. بل إنه لشرف لى أدفع فيه عمرى مهراً ولا يكفى .

وإذا بالباشا هو الذى يجيبه :

- بل مهرها أبسط من هذا بكثير يا (جلال) بك .

وكان ردُّ القاضى فى لهفة :

- ما هو يا باشا ؟ أأمرنى .

- ابنها !

فوجئ القاضى ، ولم يفهم :

- ابنها !!

- نعم .. ابنها الوحيد .

عاد القاضى يتساعل بدهشته :

- وهل لها اين ؟

راح الباشا يأخذ نفساً طويلاً من سيجاره ، ثم كان جوابه للقاضى ، وعينه ترقبه بتركيز من وراء الدخان الذى نفثه :

- (رامى شريف السلحدار) !

ردد القاضى الاسم كأنه سبق له سماعه ، ثم إذا به ينتفض كم لدغته عقرب ..

- (رامى) الذى

وكان جواب الباشا بمنتهى الهدوء :

- نعم (رامى) الذى تحاكمه .

حجر ..

حجر خرافى كأنه نيزك عملاق من جهنم سقط على رأس القاضى ، جاعلاً عينيه تشخصان فى الباشا بذهول يكاد يبلغ شفا الجنون ، وجاعلاً لمساته ينعقد داخل فمه ، عاجزاً عن النطق بحرف ..

وها هو القاضى الذى كان قد ظن نفسه قد بلغ باب الجنة منذ لحظات ينهض بمنتهى البطء والذهول ، وقد حط عليه كل غم الدنيا وكريها .

وها هو كل ما فيه ينعقد بالصدمة ..

عقله ..

قلبه ..

حواسه ..

وكل ما فيه ..

وبالكاد تحركت عيناه إلى وجه (ماجى) متسائلتين بذهولهما الجنونى ، فإذا به يرى وجهها كأنه قطعة من ضباب .. فحتى نور عينيه انعقد ، فانقلب كل شيء أمامه ضباباً فى ضباب ..

وحتى (ماجى) والباشا ذاتهما فوجئا بحالته هذه ، وبديا وكأنهما لم يكونا يتوقعاتها ، فالتفتا إلى بعضهما متبادلين نظرة قلق ، أسرعت على اثرها (ماجى) تمسك بالقاضى منادياً بمنتهى القلق !

- (جلال) !

وبالكاد التفت إليها القاضى مرة أخرى ، ليتفرسها بنظرة طويلة ، هاجت فيها عشرات الأسئلة المؤلمة الذاهلة ، لخصها كلها فى سؤال واحد لها :

- لماذا ؟

وكان ردّ (ماجى) أن سارعت بالانتفات إلى الباشا مستجدة به ، فإذا به هو الذى يجيبه :

- لأنها أم يا (جلال) بك .

وتضاعف ذهول القاضى :

- أم ؟!

- نعم يا سيادة المستشار ، أم ، وتريد أن تتقدّ ابنها الوحيد من حبل المشنقة .

وكاد القاضى يُجنّ ذهولاً :

- بهذه الطريقة ؟! بهذا الخداع الحقيقى ؟!

هنا انطلقت هتفة (ماجى) فى فزع :

- لا .. لا يا (جلال) .. لم يكن خداعاً .. لم يكن خداعاً .

وانفجرت دموع السيدة مع كلماتها ، وهى تتقدم منه بتهيارها :

- أقسم لك يا (جلال) بأننى لم أخدعك للحظة واحدة .. كل جملة .. كل كلمة .. كل حرف خرج من شفتى كان صادقاً ، وكان يعبر عن حبنى لك .. أنا لا أنكر أن عودتى كانت فعلاً لأجل ابنى .. ولكن بمجرد أن وقعت عينائى عليك .. وجدت حب السنين كله يصحو فى قلبى دفعة واحدة .. وجدت قلبى يطير إليك رغماً عنى ، ورغم حزنى وفزعى على ابنى .. وهذا هو الذى أربكنى .. فلم أعرف كيف أتصرف .. قلبى انشطر بينك وبين ابنى الوحيد .. وعقلى أيضاً انشطر بينكما .. هو ابنى وأنت حبيبى .. وخوفى من أن أفقد أحدهما أو أفقدكما معاً .. وخوفى من رد فعلك ، وأنت تملك رقبة ابنى فى يدك .. وخوفى من هذا الموقف الذى أنا فيه الآن .. كل هذا الخوف هو الذى أعجزنى عن مصارحتك بالأمر يوماً بعد يوم ، حتى وجدت نفسى أمام اللحظة الفاصلة ..

هذه هى الحقيقة يا حبيبى ..

أقسم لك بأن هذه هي الحقيقة ..

أبداً لم يكن حبي لك خداعاً .

أبداً لم أمثل عليك الحب ..

ولم أكذب عليك في حرف ..

ولم أخدعك للحظة ..

أنا فقط ارتبكت كأم .

أم فوجئت بابنها الوحيد معرضاً للشنق .

وفوجئت بأن نجاته في يد حبيبها الذي جرحته جرح العمر ..

فماذا كنت أفعل ؟

ماذا كنت أفعل ؟

وإذا بالسيدة تهوى على قدمي القاضي تريد أن تقبلها ، وهي تتعجب مرددة :

- ابني وحبيبي ..

ابني وحبيبي ..

ابني وحبيبي ..

ومضت تردها كالهذيان ، حتى ضاع صوتها في هدير بكائها ،
بينما تجمد القاضي والباشا في مكانيهما ، وهما يحققان في
بعضهما ، وقد اتخلع قلباهما من ضراوة الموقف ..

وعاد القاضي إلى منزله .. دخل الشقة مع آذان الفجر ، لاشيء
يربطه بالحياة سوى صوت (ماجي) الباكى .. يطن في أذنيه
كطنين النحل :

- ابني وحبيبي ..

ابني وحبيبي ..

ابني وحبيبي ..

تহারى جالساً بأول مقعد صادفه في الصلاة ، ليُفاجأ به أبوه
وهو يخرج من غرفته للصلاة ، ولتطلق منه هتفته الدهشة :

- ما هذا ؟! (جلال) ! متى عدت ؟

ولم يتحرك - (جلال) ساكناً ، بينما فوجئ الأب باحتقان وجه
ابنه وكأنه يشنق ، فالتخلع قلبه جزعاً عليه :

- (جلال) حبيبي ! ماذا بك ؟!

ورفع القاضى عينيه إلى أبيه ، فإذا بعذاب العالم كله يهدر فيهما ، مما جعل الأب يعاود هتافه فيه بمنتهى الفزع :

- (جلال) ! ماذا هناك ؟!

وإذا بجواب (جلال) وكأنه يحتضر :

- اتركنى قليلاً مع نفسى يا بابا .

وفوجئ الأب :

- كيف أتركك وأنت بهذه الحال ؟ كيف ؟

- أرجوك يا بابا .. أرجوك .

ولم يملك الأب إلا الاستجابة ، استددار ماضياً إلى المسجد ، وهو يدعو بلطف الله .

★ ★ ★

أربعة أيام ، و (ماجى) تكاد تجن .. (موبائل) حبيبها مغلق ، وتليفون منزله لا يحمل لها سوى جواب واحد من أبيه :

- سيادة المستشار مسافر يا ابنتى .

حتى فوجئ بها الحاج (عبد الباسط) تقتحم عليه الشقة ، لتقبل يديه بالدموع كى يخبرها أين هو ، فلم يملك الرجل إلا أن يصارحها بأن ابنه لم يغادر غرفته منذ أربعة أيام إلا من ساعة واحدة فقط ، فكان سؤالها بالدموع :

- وأين ذهب ؟

- ذهب إلى مكتب النائب العام :

وما كاد الرجل يتم جوابه حتى كانت (ماجى) تنطلق إلى سيارتها ، لتقفز بداخلها ، وتنطلق بها كالمجنونة ، ومن السيارة جرياً إلى دار القضاء العالى لتفاجأ بالقاضى نازلاً السلم .. وتجمدت أمامه ، تحنق فيه بنظرة الموت التى تحمل تساؤلها المفزوع عما أقبل عليه ، فإذا بجوابه لها بمنتهى الهدوء :

- تتحيت عن نظر القضية يا (ماجى) هاتم .

وفغر فاه المرأة من الصدمة ، بينما أردف القاضى لها بكل أسف :

- للأسف يا (ماجى) هاتم .. مهرك كان غالياً على ..

مهرك لم يكن ابنك ..

مهرك كان شرف القضاء .. (نجله) ولعلها لها زهرة رنة

وشرف القضاء لا يُقايض ولو بحب العمر يا بنت
الأكابر ..

ومضى نازلاً السلم بشموخ العظماء ، تاركها خلفه تنهاوى
جالسة في مكاتها منكفة برأسها على يديها ، وقد انفجر
بكاؤها .

(تمت بحمد الله)

فوزى عوض